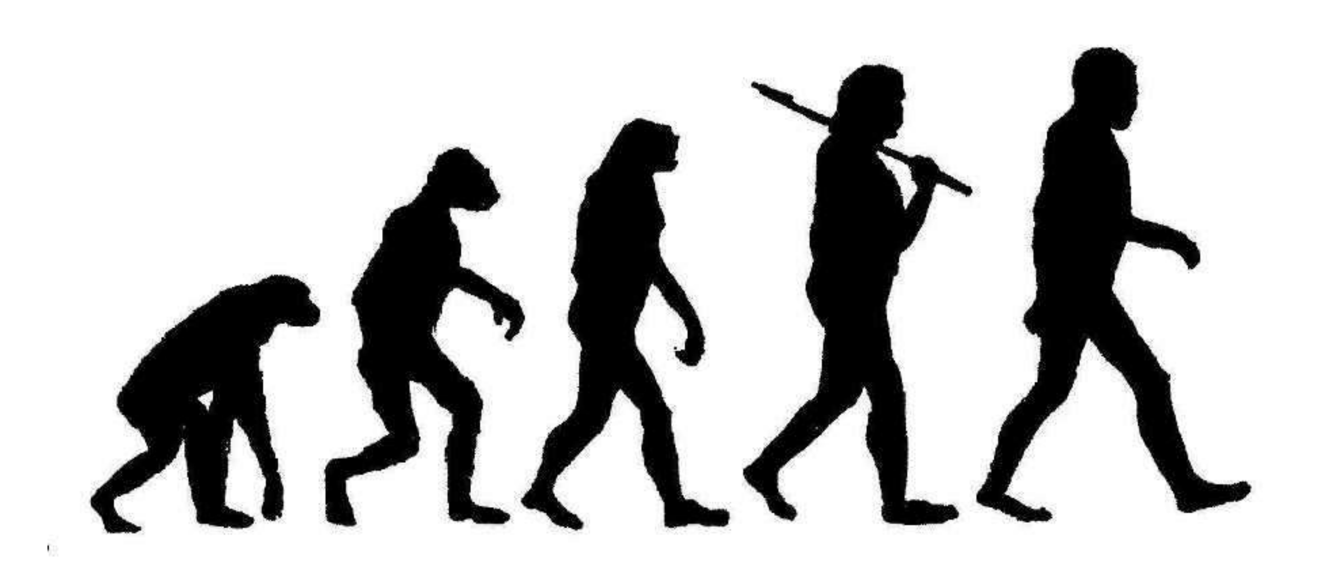
أصداء السافانا

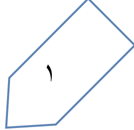
كيف يفسر علم النفس التطوري سلوكنا البشري؟



ترجمة حيدر السعدي

اعداد علي شان

٢٠١١



مقدمة

هذه مجموعة مقالات للدكتور ساتوشي كانازاوا والدكتور جاد سعد تتحدث عن علم النفس التطوري وتطبيقاته المختلفة بفروع اخرى من العلوم كسلوك المستهلك والسياسة والدين والجمال والاثارة والنسوية وما بعد الحداثة والفلسفة . ترجمها الصديق حيدر السعدي لصالح مدونة شباب الشرق الاوسط ، قمت بإعدادها على شكل كتاب الكتروني وكان بودي ان اتحدث عن هذا العلم ومحتوى المقالات الا اني اراهن على القراء الكرام نبوغهم بفهم ما هو جديد وتركيزهم على ما هو مهم من خلال هذه المقالات والخروج بمحصلة نافعة تهدف الى الرقي بالعلم والمعرفة . كذلك احيلهم الى سلسلة مقالات عن اساسيات علم النفس التطوري والتي نشرتها على منتدى طبيعي ومدونة شباب الشرق الاوسط .

علي شان ٢٠١١/٦/١

ali.chan42@yahoo.com

الاهداء



مبدأ السافانا: عن الدماغ البشري وإدراكه



ما هو لون الموزة؟

أحد الافتراضات الأساسية لعلم النفس التطوري هو أنه لا يوجد شيء خاص عن الدماغ البشري. فهو جهاز متطور، تماما كاليد أو البنكرياس أو أي جزء آخر من جسم الإنسان.

تماما مثل كل أجزاء أخرى من الجسم البشري، الدماغ – وجميع الآليات النفسية المتطورة ضمنه – تصمم وتكيف مع ظروف بيئة الأسلاف التي تطوروا فيها، وليس بالضرورة في البيئة الحالية. هذا المبدأ ينطبق على كل من التكيفات النفسية، كالآليات النفسية المتطورة، والتكيفات الجسدية، مثل العين، والرؤية، ونظام التعرف على الألوان.

ما هو لون الموزة؟ الموزة صفراء في ضوء الشمس وضوء القمر. صفراء في يوم مشمس، في يوم غائم، وفي يوم ممطر. صفراء عند الفجر وعند الغسق. لون الموزة يبدو ثابتاً للعين البشرية في ظل كل هذه الظروف، رغم حقيقة أن موجات الضوء الفعلية المنعكسة من سطح الموزة في ظل هذه الظروف المتنوعة هي مختلفة. موضوعيا، فهي ليست من لون واحد طوال الوقت. ومع ذلك، يمكن للعين البشرية ونظام التعرف على الألوان أن تعوض هذه الظروف المتنوعة لأنها جميعا وقعت خلال مسار التطور لنظام رؤية الإنسان، ويمكن أن تتصور موضوعياً ألواناً متنوعة على أنها صفراء باستمرار.

فالموز يبدو أصفر تحت كل الظروف، ما عدا في موقف سيارات في الليل. تحت أضواء بخار الصوديوم التي تستخدم عادة لتضيء مواقف السيارات، لا يظهر

الموز كأصفر طبيعي. وهذا لأن أضواء بخار الصوديوم لم تكن موجودة في البيئة الأسلافية، أثناء تطور نظام رؤية الإنسان، والقشرة البصرية بالتالي عاجزة عن تعويضهم.

معجبو فيلم جيمس كاميرون لعام ١٩٨٩" *الهاوية* "قد يتذكرون مشهداً قرب نهاية الفيلم ، حيث يستحيل على الغطاس أن يميز الألوان تحت إضاءة اصطناعية في الظلام المعتم كلياً للحوض المحيطي العميق. متابعو البرنامج التلفازي" *ملفات جنائية* "وغيره من مسلسلات الجرائم الواقعية قد يتذكّرون أبعد من ذلك أن شهود العيان غالبا ما يخطئون التعرف على ألوان السيارات على الطرق السريعة، مما يؤدي بالشرطة إما إلى إثبات أو استبعاد المشتبه بهم المحتملين بشكل غير صحيح، لأن الطرق السريعة والخارجية غالباً ما تضاء بأنوار بخار الصوديوم وغيرها من مصادر الإضاءة الجديدة تطورياً.

نفس هذا المبدأ الذي ينطبق على التكيفات الجسدية مثل التعرف على الألوان ينطبق على التكيفات النفسية. إذ أن جميع رواد علم النفس التطوري أقرُّوا بأن التكيفات النفسية تصممت لتتلاءم مع ظروف بيئة الأسلاف، وليس بالضرورة لظروف البيئة الراهنة. أدعو هذه الملاحظات بمبدأ السافانا: ***لدى الدماغ البشري صعوبة في الفهم والتعامل مع الكيانات والحالات التي لم تكن موجودة في بيئة الأسلاف.*** سائر علماء النفس التطوريين يسمون نفس الملاحظة فرضية التركة التطورية أو فرضية عدم التطابق.

أحد الأمثال على مبدأ السافانا في الواقع هو حقيقة أن الأفراد الذين يشاهدون أنواع معينة من البرامج التلفزيونية هم أكثر رضى عن صداقاتهم، تماما كما لو أن لديهم المزيد من الأصدقاء أو أنهم يجتمعون معهم على نحو أكثر تواتراً. فمن المنطقي جداً أن الناس الذين ***لديهم*** المزيد من الأصدقاء الذين ***يجتمعون*** معهم بشكل أكثر تواترا هم أكثر رضى عن صداقاتهم، من أولئك الذين لا يوجد لديهم الكثير من الأصدقاء أو لا يجتمعون معهم بصورة متكررة. وهم كذلك. ما يثير الاهتمام هو أن الشيء نفسه يحدث إذا كانوا يشاهدون التلفزيون أكثر. من منظور مبدأ السافانا هذا هو الأرجح، لأن صوراً واقعية لبشر آخرين، مثل التلفزيون، الأفلام، أشرطة الفيديو، الديفيديهات، والصور ، لم تكن موجودة في بيئة الأسلاف، حيث كل الصور الواقعية للبشر الآخرين هي بشر آخرين. نتيجة لذلك، فإن مبدأ السافانا يوحي بأن العقل البشري قد يجد صعوبة ضمنية في التمييز بين "أصدقاء التلفزيون" – الشخصيات التي تعرض تكرارا في برامج التلفاز – وأصدقائهم الحقيقيين.

مثال آخر ، وهو حقيقة أنه عندما قام النفسانيون التجريبيون عمداً بخلق حالة حيث يكسب الناسُ المالَ وهم منبوذين ويخسرون المال وهم متضمنين، لا يزال الناس يشعرون بالسعادة عندما يُتضمنون (ويخسرون المال) ويتأذون عندما يُستبعَدون (ويكسبون المال). في حين أن هذا لا معنى له من منظور اقتصادي بحت، فهو يتفق

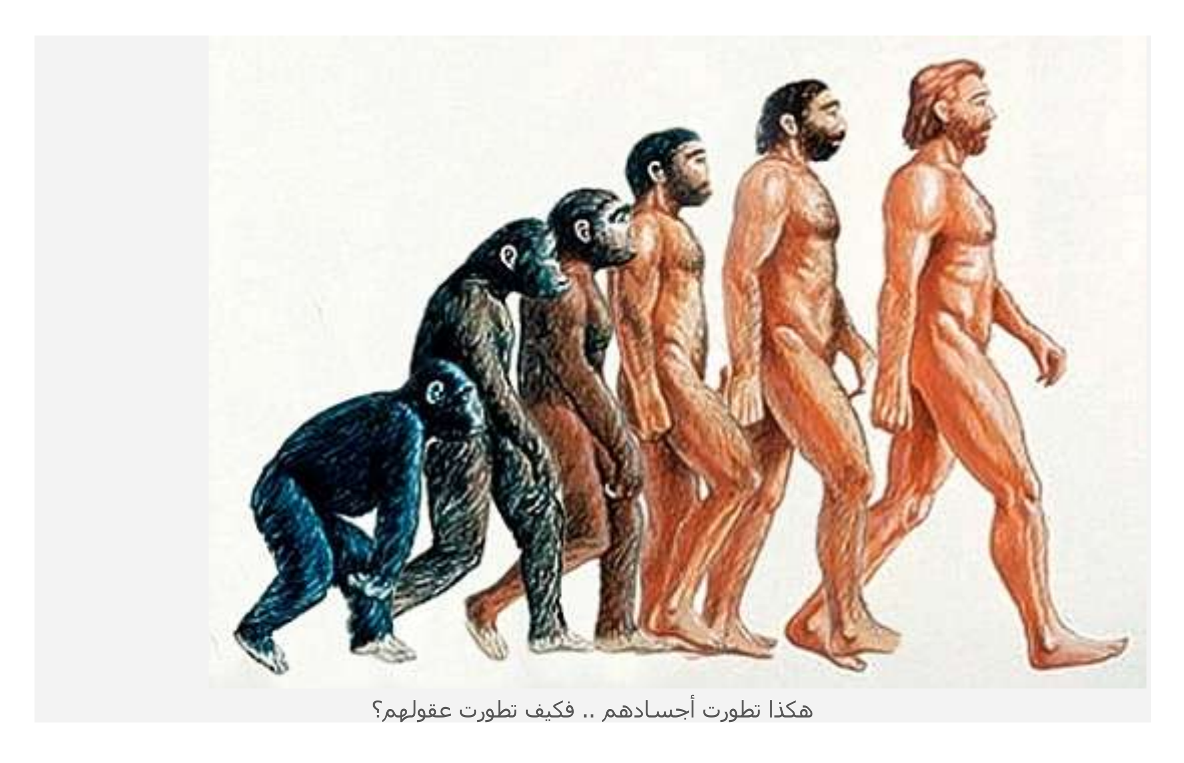
تماما مع مبدأ السافانا. فطوال مراحل تطور البشرية، كان الاستبعاد من مجموعة ***دائماً*** مكلفاً والتضمين ***دائماً*** مفيداً. هذان العاملان تفاوتا معاً دائماً عبر التاريخ التطوري، لأنه لم يكن ثَمّ نفسانيون تجريبيون أشرار في بيئة أسلاف يُتلاعب بها بشكل مستقل. لم تكن هناك أشياء مثل الاستبعاد النافع أو التضمين المكلف، وبالتالي لا يمكن للعقل البشري استيعابها. فهو يفترض ضمناً أن كل تضمينٍ مفيد وكل استبعادٍ مكلف.

لذلك يبدو أن الدماغ البشري يجد صعوبة فعلية في الفهم والتعامل مع الكيانات والحالات التي لم تكن موجودة في بيئة الأسلاف، كما يشير إليها مبدأ السافانا. إذا نظرت حولك، سوف تدرك أن لا شيء تقريبا في بيئتك الحالية كان موجوداً في بيئة الأسلاف. في الواقع، أعتقد أن هناك أربعة كيانات فقط في بيئتنا الحالية كانت موجودة في بيئة الأسلاف: الرجال والنساء والفتيان والفتيات. إن كنت خارجها، قد تميل إلى أن تتضمن بعض الميزات الطبيعية كالأشجار والجبال والأنهار، ولكن ما لم تكن أنت في السافانا الأفريقية، فإنها ليست نفس الأشجار والجبال والأنهار التي كانت موجودة في بيئة الأسلاف. هناك المزيد من ***المواقف والعلاقات*** في بيئتك الحالية التي لم تزال موجودة في بيئة الأسلاف، كالصداقات، والتحالفات، وعقود الازدواج (أو التزويج). ولكن العديد من هذه الحالات والعلاقات اليوم تشمل مكونات بديعة تطورياً (مثل الفيسبوك، العقود المكتوبة التي تنفذها الحكومة، وشهادات الزواج)

إن كلمة المفتاح في مبدأ السافانا – ***لدى الدماغ البشري صعوبة في الفهم والتعامل مع الكيانات والحالات التي لم تكن موجودة في بيئة الأسلاف*** – هي ***الصعوبة***، لا الاستحالة. فأحيانا يمكن التغلب على القيود المفروضة على الدماغ البشري بشكل واعي – يمكن لنا أن نتذكر أن الشخصيات التي نرى على التلفاز هم ممثلون محترفون يتقاضون الملايين من الدولارات لأداء أدوار مكتوبة – ولكنه غالباً ما يكون صعباً. حتى حين ندرك شيئا على المستوى الواعي، فإننا لا نزال نتصرف كما لو لم نكن، حيث نصبح أكثر ارتياحا مع صداقاتنا عندما نشاهد التلفاز أكثر. للملاحظة التي قبض عليها مبدأ السافانا آثار قوية وعميقة جداً على علم النفس التطوري وكيف يعمل الدماغ البشري.

هذه المقالة هي ترجمة لمقالة الدكتور ساتوشي كانازاوا، أحد أبرز الباحثين في علم النفس التطوريEvolutionary Psychology ، وقد نُشرت لأول مرة على موقع.Psychology Today

كيف تطوّر الذكاء العام؟



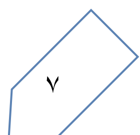
هكذا تطورت أجسادهم .. فكيف تطورت عقولهم؟

إذا كانت محتويات دماغ الإنسان محددة بالمجال، كما يزعم علماء النفس التطوري، فكيف يمكن لعلم النفس التطوري أن يفسر الذكاء العام، والذي يبدو عام المجال؟

يشير الذكاء العام إلى القدرة على التفكير بالاستنباط أو الاستقراء، أو على نحو تجريدي، استخدام القياس، تركيب المعلومات، وتطبيقها في مجالات جديدة. وهو مقياس لكيفية (وإلى أي مدى) تفكيرك، وليس معرفتك، رغم أن ما تعرفه يتأثر بذكائك.

مفهوم الذكاء العام يطرح مشكلة لعلم النفس التطوري. فعلماء النفس التطوري يقولون بأن دماغ الإنسان يتكون من آليات نفسية متطورة محددة بالمجال، والتي تطورت لتحل مشاكل تكيفية معينة (كمشاكل البقاء والتكاثر) في مجالات محددة. وهكذا، لدينا مثلاً آلية كشف الغش في مجال التبادل الاجتماعي، وجهاز اكتساب اللغة في مجال اكتساب اللغة الأم. تطورت الآليات النفسية المتطورة تعمل فقط في مجالها المعين. إذ لا يمكنك استخدام آلية كشف الغش لتتعلم لغتك الأم أو جهاز اكتساب اللغة للكشف عن الذين قد ينتهكون عقداً اجتماعياً ضمنياً. ولكن إذا كانت محتويات دماغ الإنسان محدودة بالمجال، كيف يمكن لعلم النفس التطوري أن يفسر الذكاء العام، الذي يبدو عام المجال، وينطبق ويفيد في العديد من المجالات؟

إني أعتقد أن ما يعرف الآن باسم الذكاء العام ربما قد تطور في الأصل كتكيف محدد بالمجال للتعامل مع مشاكل جديدة تطوريا وغير متكررة. فالدماغ البشري



يتكون من عدد كبير من آليات نفسية متطور ة محددة بالمجال لتحل مشاكل التكيف المتكررة، مثل مشاكل توفير الغذاء، واختيار الشريك. في هذا المعنى، لم يكن على أسلافنا حقا أن يفكروا لأجل حل هذه المشاكل المتكررة. فالتطور قد أنجز كل التفكير سلفاً، إن جاز التعبير، وجهّز الدماغ البشري بالآليات النفسية الملائمة، والتي تنتج فينا التفضيلات المناسبة، الإدراكات المرغوبة، والعواطف، وتحفّز السلوك التكيفي في سياق بيئة الأسلاف.

كل ما كان على أسلافنا فعله لحل مشاكلهم التكيفية اليومية هو اتباع ما تمليه تلك الآليات النفسية المتطورة والتصرف وفقا لما شعروا به، والسير وراء عواطفهم ومشاعرهم. نادراً ما كان التعقّل الواعي والمتعمد ضروريا لأسلافنا، لأن معظم مشاكلهم التكيفية كانت متكررة ومألوفة، وكانت لديهم حلول متأصلة في أدمغتهم.

حتى في أقصى ظروف الاستمرارية والثبات في بيئة الأسلاف، كانت هناك مشاكل عرضية يرجح أنها جديدة وغير متكررة تطورياً، الأمر الذي تطلب من أجدادنا أن يفكروا ويتعقلوا لأجل الحل. وربما قد تكون مشاكل جديدة تطوريا كهذه قد حصلت، على سبيل المثال:

١- البرق قد ضرب شجرة بالقرب من المخيم وأشعل النار فيه. النيران تنتشر الآن إلى الشجيرات الجافة. ماذا علي أن أفعل؟ كيف يمكن لي وقف انتشار الحريق؟ كيف يمكن لي ولعائلتي الخروج منه؟ (منذ أبدا بما أن البرق لا يضرب المكان نفسه مرتين ، وهذا ضمان أن تكون المشكلة غير متكررة).

٢- نحن في وسط أقسى موجة جفاف خلال مائة سنة. المكسرات والتوت في أماكن تجمعنا الطبيعية، والتي عادة ما تكون وفيرة ، لا تنمو على أي حال، والحيوانات نادرة أيضاً. الغذاء ينفد منا لأن أيا من مصادرنا الطبيعية من المواد الغذائية لا يتوفر. ماذا يمكننا أن نأكل؟ وما هو الآمن للأكل؟ وإلا فكيف يمكننا توفير الغذاء؟

٣- تسبب سيل مفاجئ في تضخم النهر لعدة أمثال عرضه العادي، وأنا محاصر على جانب واحد في حين أن فرقتي بأكملها على الجانب الآخر. ومن المحتم أن أنضم إليهم قريبا. كيف يمكن لي عبور النهر؟ هل يجب أن أمشي خلاله؟ أو ينبغي أن أشيد نوعا من المركبات الطافية وأستخدمها لعبوره؟ إذا كان الأمر كذلك ، فأي نوع من المواد علي أن أستخدم؟ الخشب؟ الحجارة؟

إلى حد أن هذه المشاكل الجديدة تطوريا وغير المتكررة، حدثت بتكرار كافي في بيئة الأسلاف (مشكلة مختلفة كل مرة، وكانت لها آثار خطيرة كفاية لتؤثر على البقاء والتكاثر، فإن أي طفرات وراثية سمحت لحامليها بالتفكير والحُكم من شأنها أن يتم اختيارها، وما نسميه الآن "الذكاء العام" ربما قد تطور كتكيف محدد بالمجال في مجال المشاكل الجديدة تطوريا وغير المتكررة. ولأن مثل هذه المشاكل

ليست ملامح متكررة في بيئة الأسلاف، ما من حلول متأصلة توفرت بالتكيفات النفسية الحاضرة.

من هذا المنظور، ربما لم يكن الذكاء العام مهما جدا – ليس أكثر أهمية من أي تكيف نفسي آخر محدد بالمجال – في أصله التطوري، ولكنه أصبح هاما بشكل شامل في الحياة الحديثة، فقط لأن بيئتنا الحالية هي تقريباً بالكامل جديدة تطوريا. النظرية الجديدة تقترح، والبيانات التجريبية تؤكد أن أكثر الأفراد الأذكياء هم أفضل من الأفراد الأقل ذكاء في حل المشاكل إن كانت المشاكل جديدة تطورياً. والأفراد الأكثر ذكاء ليسوا أفضل من الأفراد الأقل ذكاء في حل المشاكل المألوفة تطورياً، كما في مجالات التزاوج، الوالدية، والعلاقات بين الأشخاص، والعثور على المسار (إيجاد طريقك إلى البيت في غابة) ، إلا إذا كان الحل ينطوي على كيانات جديدة تطورياً. على سبيل المثال، الأفراد الأكثر ذكاء ليسوا أفضل من الأفراد الأقل ذكاء في إيجاد الرفقاء والحفاظ عليهم، ولكنهم قد يكونون أفضل في استخدام أجهزة المواعدة الحاسوبية. الأفراد الأكثر ذكاء ليسوا أفضل في إيجاد الطريق إلى البيت في غابة، ولكنهم قد يكونون أفضل في استخدام الخريطة أو جهاز ملاحة ساتلي (يقوم على السواتل: الأقمار الصناعية).

إني أعتقد أن العلماء والمدنيين معاً قد بالغوا بإفراط في أهمية الذكاء العام في الحياة اليومية. فالذكاء لا يساعدك مع المشاكل المهمة حقاً في حياتك، كالحفاظ على علاقة عمل ناجحة، كونك صديقا جيدا، وتربية الأطفال. إنه يساعدك فقط في حل المشاكل غير المهمة والجديدة تطورياً كالحصول على التعليم الرسمي، جني المال في اقتصاد رأسمالي، والتحليق بطائرة.

هذه التدوينة هي ترجمة لمقالة الدكتور ساتوشي كانازاوا، المنشورة على موقع Psychology Today

تطور الذكاء العام وفق فرضيات علم النفس التطوري



الدماغ هو عضو ذو كلفة تشيغل عالية على الصعيد الأيضي . فمع ان الدماغ البشري يشكل ٢ الى ٣ في المئة من الوزن المتوسط للجسم البشري الا انه يستهلك تقريباً ما بين ٢٠ و ٢٥ % من السعرات الحرارية في الجسد . تملك الرئيسات عموما ادمغة كبيرة ، الا ان البشر يتفوقون من بين الرئيسات فأدمغتنا اكبر بالنسبة لحجم الجسم من أي رئيسات أخرى ولقد تضاعف حجم الدماغ البشري ما يقارب ٣ مرات خلال الملاين الماضية من السنين .تأوي ادمغتنا الكبيرة أدوات معالجة-معلومات فائقة التعقيد- اي اشكال من الذكاء غير موجود لدى أسلافنا ذوي الادمغة الاصغر او ابناء عمومتنا الحاليين من الرئيسات . تتضمن هذه الاشكال الكفاءات غير المسبوقة في التفكير المجرد ، المحاكمة الفكرية ، التعلم ، وبناء السيناريوات. من الواضح انه حدث شيء ما خلال مسار التطور البشري كي يدفع بنا لامتلاك هكذا ادمغة كبيرة محتوية على أشكال رائعة من الذكاء.

كان مبرر تطوير البشر لهذه الكفاءات المعرفية موضوع سجال كبير ، ولم ينجز توافق متين بهذا الصدد إلى الان تتمثل احدى التفسيرات في فرضية السيطرة الإيكولوجية /التنافس الاجتماعي ، تبعاً لفرضية السيطرة الايكولوجية /التنافس الاجتماعي ، تمكن اسلاف البشر من إخضاع العديد من (قوى الطبيعة العدائية) التقليدية التي أعاقت البقاء سابقاً . تتضمن هذه القوى العدائية (فرسان الشر الاربعة) وهي : المجاعة (بسبب نقص الطعام) ، الحرب ، الطاعون، والمناخ القاسي . يمكننا إنتاج طعام وفير ، وهكذا فنادراً ما نعاني من المجاعة ، لقد طورنا مساكن ، وملابس ، وناراً وهكذا فنادرا ما نموت بسبب قسوة المناخ القاسي . تبعاً لهذه الفرضية فتحت سيطرة البشر على الايكولوجيا الباب امام طاقم جديد من قوى الانتقاء – اي التنافس من قبل البشر الاخرين.

تثير فرضية السيطرة الايكولوجية/التنافس الاجتماعي تعقيدات العيش في جماعات اجتماعية كبيرة ومتعددة الأوجه ، مما يتطلب حل مشكلات تكيفية من مثل تكوين الأئتلافات ، معاقبة الغشاشين ، رصد خيبات الامل ، مفاوضات المرتبيات الاجتماعية المعقدة والمتغيرة . يفرض العيش في جماعات اجتماعية معقدة أخطار ك السرقات واكل لحوم البشر والتديُّث ، قتل الاطفال ، الابتزاز وسواها من الوان الغش.

دفع حجم جماعات اسلاف البشر في حدود ٢٥ الى ١٥٩ فرداً، مضافاً إلى تعقيدات مشكلات التكيف الاجتماعية ، إلى انتقاء ادمغة أكبر ومستويات اعلى من الذكاء الاجتماعي .يفترض في هذه الاشكال الجديدة من الذكاء ان تتضمن الوعي ، اللغة ، الوعي الذاتي ، الفهم (اي القدرة على فهم معتقدات ورغبات الناس الاخرين) تضمنت كذلك (بناء سيناريوات) التي أتاحت للناس إنشاء استجابات ممكنة للوضعيات الاجتماعية المتغيرة ومراجعتها.

تضمن التنافس الاجتماعي الناجح على الارجح تكيفات لتكوين ائتلافات للصيد ، وخصوصا صيد الطرائد الكبيرة ، وهي وسيلة للحصول على مصادر حيوية من البروتين والاحماض الامينية الثمينة ، ويتطلب تكوين ائتلافات صيد تعاونية بدوره قدرات تواصل هائلة ، وتكيفات نفسية للتعاون (من ضمنها القدرة على رصد الغشاشين ومعاقبتهم) وقواعد تحكم توزيع اللحم ، اتاحت وفرة اللحم الكبيرة المكتسبة من خلال الصيد للبشر تحزين فائض الطعام في اجساد الاصدقاء والحلفاء ، مع توقع المبادلة بالمثل.

لا يتطلب الامر وثبة كبيرة للانتقال من الصيد الائتلافي الى الحرب الائتلافية ، بتحويل الأسلحة المحمولة والائتلافات التعاونية نحو هدف هزيمة جماعات بشرية اخرى بغية سلبهم مواردهم . قد يكون سباق التسلح المتلازم تطورياً ما بين التكيفات المكرسة للحرب والتكيفات المكرسة للدفاع ضد جماعات المهاجمين ، أدى بدوره الى مزيد من اشكال الذكاء . من المعقول ان كل هذه القوى ذات الصلة في ما بينها اي التعقيدات المفروضة من قبل نهج حياة الجماعة الكثيف والوقوف على الساقين الذي حرّر اليد البشرية وأتاح لها اختراع الأدوات واستخدامها ، الصيد والحرب ، قد ادت إلى العديد من مستويات الذكاء العالية التي يبديها البشر في ايامنا هذه.

تتحدى ليندا غوتفريدسون فرضية السيطرة الايكولوجية / التنافس الاجتماعي ، تجادل بأن الذكاء العام (كما يقاس من خلال اختبارات نسبة الذكاء) ليس مرتبطاً بدرجة عالية من الذكاء الاجتماعي ، كما تتنبأ به الفرضية ، وهي تشير الى ان اعمال البشر التقنية التي رفعت من معدل نسب بقاء البشر لم تلغ الفروق الفردية على صعيد البقاء وهي فروق قد امكنها انتقاء مستويات اعلى من الذكاء العام ، تقدم غوتفريدسون دليلاً مفحماً على ان الفروق الفردية في البقاء مرتبطة بالفروق الفردية في الذكاء حتى في ايامنا هذه.

في الحقيقة خلقت التقنيات الفعلية التي اخترعها البشر للمساعدة في بقائهم اي النار والادوات والاسلحة والقوارب ، اخطار مستجدة عليهم فمع ان النار مكنت البشر الاسلاف من توسيع نطاق الاطعمة التي يمكنهم أكلها ، الا انها خلقت أخطاراً جديدة مؤدية الى الاذى والموت . ومع ان الاسلحة مكنت البشر الاسلاف من الصيد بفعالية أكبر . الا انها خلقت كذلك مصادر جديدة للأذى والموت ففي قبائل الكونغ في بوتسواتا ، على سبيل المثال اكثر اسباب حوادث الصيد خطورة بمعنى الاصابات المؤدية الى الموت ليست الحيوانات ذاتها وإنما الاسلحة (ذات الحراب المسمومة) التي يستخدمها الكونغ في قتل تلك الحيوانات ومع ان القوارب قد أتاحت للبشر استغلال اراض وموارد طعام جديدة إلا انها خلقت كذلك خطر الغرق المتزايد وباختصار فمع انه من الصحيح ان البشر وصلوا مستوى مذهلاً من السيطرة على ايكولوجياتهم وعلى الاخص بعض القوى العدائية التاريخية التي اعاقت بقاءهم ، الا ان التجديدات التقنية المستجدة خلقت أخطاراً جديدة تسبب الإصابات او الموت لبعض الافراد اي أولك الاقل ذكاءً.

قترح فرضية التجديدات المميتة التي قالت بها غوتفريدسون ان تجديدات البشر قد خلقت ، خطر الاذى والموت المبكر النسبي ، بل انها وسعت من هذا الخطر ، وهو ما ولّد ضغطاً انتقائياً لتطور الذكاء العام. تتطلب الوقاية من الحوادث الناجمة عن التجديدات المستحدثة كفاءات معرفية هائلة (القدرة على بناء السيناريوات او التفكير بالعديد من امكانات (ماذا لو) المتنوعة ، استباق الظروف المعقدة ، واتخاذ احتياطات تقلل من الاخطار).

تبعاً لفرضية التجديدات المميتة ، يمكن للعديد من القوى التي حصلت خلال نصف مليون السنة الماضية ، ان تكون قد وسعت من فروق البقاء بين الافراد من ذوي الذكاء العالم العالي والمتدني . اولها هو الخطر المزدوج : إذ لايقتصر الامر على تعرض الاقل ذكاءً للإصابة وللموت بمعدلات أعلى ، بل سيعاني أولادهم كذلك من معدلات موت اكبر نتيجة لعدم قدرة الاهل على حمايتهم وتوفير احتياجاتهم . ثانيا هو التعقيد اللولبي المتصاعد :إذ بمقدار تزايد تعقيد التقنيات ،فإنها توسع من مدى أهمية الذكاء العام لتجنب الاخطار المستجدة التي تحملها . أما ثالث القوى فتتمثل في اتساع رقعة الهجرة :إذ حيث هاجر البشر خروجاً من افريقيا الى أراضٍ جديدة لم يسبق استغلالها في كل اوروبا ، اسيا ، الأميركتين ، وحتى في الآركتيك ولدت هذه البيئات الجديدة ضغوطاً لمزيد من التقنيات المستحدثة للسيطرة عليها ، حتى انه يخلق المزيد من الاخطار المستجدة.

يأتي الدعم التجريبي لفرضية التجديدات المميتة من عدة مصادر . أولها ان الذكاء مرتبط حقاً مع طول عمر الافراد . وجدت إحدى الدراسات أن زيادة كل نقطة على نسبة الذكاء من مثل ١٠٧ في مقابل ١٠٦ قد ارتبطت بانخفاض مقداره ١ % في الخطر النسبي للموت مما يعني انه اذا كانت لدينا ١٥ نقطة فوق المتوسط على نسبة

الذكاء (١١٥ مقابل ١٠٠) فإن ذلك قد يقلل من احتمال خطر موتك بنسبة ١٥ % ثانيها ان نسبة الذكاء مرتبطة ايضاً بالإصابات غير المميتة التي تؤذي بدورها لياقة الفرد المتضمنة في عالمنا الحديث ، يرجح ان يتعرض ذوو نسب الذكاء المتدنية اكثر من سواهم للغرق وللإصابة بحوادث الدراجات والدراجات النارية والسيارات ويتعرضون للإصابة بالصواعق (بحسب غوتفريدسون) ومع انه لا يرتبط سبب واحد بمفرده بقوة مع نسبة الذكاء ، الا انه حين تجتمع هذه الاسباب كلها فإنها تتراكم كي تزيد من خطر الاذى والموت ، مما يفترض انه ناجم عن مستويات متدنية من الذكاء العام.

مع ان فرضية التجديدات المميتة حول التطورية للذكاء العام متسقة مع الادلة المستسقاة من الجماعات السكانية الحديثة ،إلا ان غوتفريدسون تقر بأنه ما زال يتعين مجابهتها مع الفرضيات المنافسة ، من مثل فرضية السيطرة الايكولوجية / التنافس الاجتماعي ، ومن المحتمل كذلك ان تكون كلتاهما صائبة لانهما لا تتناقضان ومن الطريف ان كلتا النظريتين تقترح وظائف تكيفية للذكاء العام-التفكير المجرد-بناء السيناريوات ، قدرات التفكير والكفاءة على التعليم من التجربة. تقترح كلتاهما ان البشر قد طوروا قدرات المجال العام المعرفية هذه بالإضافة الى قدرات المجال النوعي المعرفية المتخصصة ، التي تم توثيقها من قبل علماء النفس التطوري.

هذا المقال مقتبسة من كتاب علم النفس التطوري لدافيد باس .

الـفرضيـة، أو: لماذا يريد الناس ما يريدونه؟

ملاحظة: في هذه المقالة يستخدم د. كانازاوا عبارة "The Hypothesis" للدلالة على فرضيته التي يستنتجها هنا، وقد فضّلت ترجمتها إلى العربية هكذا : "**الـفرضيـة**" .. وسأستخدم هذه الكلمة لاحقاً في كل مقالاته القادمة.



السافانا.. منها بدأنا "كصيادين-لاقطين" وإليها نعود "للبحث عن أصولنا المنسية"

من أين تأتي قيم الأفراد وتفضيلاتهم؟ لماذا يريد الناس ما يريدونه؟ ما الذي يفسر أصل التفضيلات الخصوصية والقيم للأفراد؟

إن مشكلة القيم – أصلها والفروق الفردية – هي واحدة من المسائل النظرية التي لم تحل في العلوم السلوكية. الإجابة التقليدية للاقتصاديين على سؤال التقليدي القيم الفردية والتفضيلات هو ***De gustibus non est disputandum.*** : ***للأذواق لا يوجد تفسير***، ولذا لا يقدر أحد أن يفسر التفضيلات الخصوصية والقيم للأفراد.

إني أعتقد أن علم النفس التطوري هو المفتاح لكشف منشأ التفضيلات والقيم الفردية. فمبدأ السافانا ينص على أن *الدماغ البشري لديه صعوبة في الفهم والتعامل مع الكيانات والحالات التي لم تكن موجودة في بيئة الأسلاف*. ونظرية تطور الذكاء العام تشير إلى أن *الذكاء العام قد تطور كتكيف نفسي محدد بالمجال لحل المشاكل الجديدة تطورياً*. إن ترابطهما المنطقي يشير كفاءة مبدأ السافانا، ويفضي إلى فرضية جديدة حول التفضيلات والقيم الفردية.

فإذا كان الذكاء العام قد تطور للتعامل مع المشاكل الجديدة تطورياً، فإنّ صعوبة الدماغ البشري في الفهم والتعامل مع الكيانات والحالات الجديدة تطورياً (كما يقترح مبدأ السافانا) ينبغي أن تتفاعل مع الذكاء العام، بحيث يكون مبدأ السافانا مؤثراً أكثر

بين الأفراد الأقل ذكاءً من الأفراد الأكثر ذكاءً. فالأفراد الأكثر ذكاءً ينبغي أن يكونوا أكثر قدرة على الفهم والتعامل مع الكيانات والحالات الجديدة تطورياً (ولكن ***ليس*** المألوفة تطورياً) من الأفراد الأقل ذكاءً.

وهكذا فإن *فرضية تفاعل السافانا–نسبة الذكاء*) سيشار لها لاحقاً" ***بالفرضية*** "في هذه المدونة) تشير إلى أن *الأفراد الأقل ذكاءً يجدون صعوبة أكبر من الأفراد الأكثر ذكاءً في الفهم والتعامل مع مع الكيانات والحالات التي لم تكن موجودة في بيئة الأسلاف* .في المقابل، الذكاء العام لا يؤثر على قدرة الأفراد على الفهم والتعامل مع الكيانات والحالات المألوفة تطورياً التي كانت موجودة في بيئة الأسلاف.

إن الكيانات الجديدة تطورياً التي يكون الأفراد الأكثر ذكاءً أكثر قدرة على الفهم والتعامل معها يمكن أن تشمل الأفكار وأساليب العيش، والتي تشكل الأساس لتفضيلاتهم وقيمهم. سيكون من الصعب جدا على الأفراد أن يفضّلوا أو يقيِّموا شيئاً ما لا يستطيعون فهمه حقاً. لذلك، مطبقةً على نطاق التفضيلات والقيم، فالفرضية تشير إلى أن ***الأفراد الأكثر ذكاءً أكثر احتمالاً من الأفراد الأقل ذكاءً لاكتساب وتبني التفضيلات والقيم الجديدة تطورياً التي لم تكن موجودة في بيئة الأسلاف ومن ثمّ لم تكن لدى أسلافنا، ولكن ليس للذكاء العام أي تأثير على اقتناء واعتناق تفضيلاتٍ مألوفة تطورياً وقيمٍ كانت سائدة في بيئة الأسلاف.***

في التدوينات القادمة، سوف أناقش بعض مترتبات هذه الفرضية في مجالات مختلفة من الحياة، والأدلة التجريبية المتصلة بها.

ما الذي تعنيه "الجِدَة" Novelty ؟

يرتبط الذكاء مع الانفتاح على التجربة الجديدة. ولكن ما الذي تعنيه "التجربة الجديدة"؟

أظهرت الأبحاث في علم نفس السمات Personality Psychology مراراً أن أحد عوامل السمات لنموذج "العوامل الخمسة" — الانفتاح على الخبرة — يرتبط إيجابياً إلى حد كبير (وإن بصورة معتدلة) مع الذكاء. فالأفراد الأكثر ذكاء أكثر انفتاحا على التجارب الجديدة. إن التشابه والتداخل بين الذكاء والانفتاح يتضحان من حقيقة أن بعض الباحثين يدعون عامل السمات هذا "التفكر" بدلاً من "الانفتاح".

يمكن للفرضية تقديم تفسير واحد لكون الأفراد الأكثر ذكاء أكثر انفتاحا على التجارب الجديدة، وبالتالي أكثر عرضة لالتماس الجِدَة Novelty. فالذكاء العام تطور كتكيّف محدود بالمجال للتعامل والحل للمشاكل الجديدة تطورياً، لذا فمن المعقول جداً أن الأفراد الأكثر ذكاء، والأقدر على حل مثل هذه المشاكل، هم أكثر انفتاحاً على الكيانات والمفاهيم الجديدة التي قد تؤدي إلى حل مثل هذه المشاكل.

في ذات الوقت، فالفرضية تشير لاحتمال الحاجة إلى صقل مفهوم الجِدَة، والتمييز بين الجِدَة التطورية (الكيانات والحالات التي لم تكن موجودة في بيئة الأسلاف)، والجِدَة التجريبية (الكيانات والحالات التي لم يجربها الأفراد شخصياً في حياتهم الخاصة). ففي حين أن نموذج العوامل الخمسة لا يحدد أي نوع من الجِدَة يكون الأفراد المنفتحون — ومن ثَمَّ الأكثر ذكاء — هم أكثر ميلاً لالتماسه، تشير الفرضية إلى أن الأفراد أكثر ذكاء من المرجح أن يسعى للجِدَة التطورية فقط، وليس بالضرورة للجِدَة التجريبية.

على سبيل المثال، كل من على قيد الحياة في الولايات المتحدة اليوم قد عاشوا كل حياتهم في مجتمع أحادي monogamous صارم ، وعلى الرغم من الاستثناءات العرضية التي تصنع الأنباء، فإن قليلاً جداً من الأميركيين المعاصرين لديهم تجارب شخصية مع تعدد الزوجات. لذا، فالزواج الأحادي مألوف بالتجربة لمعظم الأميركيين، في حين أن تعدد الزوجات جديد بالتجربة. يجوز إذن لنموذج العوامل الخمسة التنبؤ بأن الأفراد أكثر ذكاء من الأرجح أن يكونوا منفتحين تجاه تعدد الزوجات باعتباره فكرة أو نمط حياة جديد تجريبياً.

على العكس، فالبشر متعددو زوجات بشكل طبيعي. تشير الأدلة المقارنة إلى أن أجدادنا قد مارسوا تعدد زوجات معتدلاً طوال التاريخ التطوري للإنسان. أما الزواج الأحادي المفروض اجتماعياً الذي لدينا اليوم في معظم المجتمعات الغربية فهو

ظاهرة تاريخية حديثة نسبياً. لذا فإن تعدد الزوجات مألوف تطورياً في حين الزواج الأحادي هو الجديد تطورياً. سيكون للفرضيـة بذلك أن تتكهن بأن الأفراد الأكثر ذكاء أكثر احتمالاً للانفتاح على الزواج الأحادي وأقل عرضة لتعدد الزوجات. وفي الواقع، فإن الأدلة تشير إلى أن الرجال الأكثر ذكاء أكثر احتمالاً لتقدير التفرد الجنسي من الرجال الأقل ذكاء.

وكمثال آخر، فلمعظم الأميركيين المعاصرين، الأسماء التقليدية المستمدة من الكتاب المقدس، مثل "جون/حنّا" و "ماري/مريم"، هي أكثر أُلفة بالتجربة من أسماء غير تقليدية مثل OrangeJello و LemonJello. لذا فقد يتنبأ نموذج العوامل الخمسة بأن الأفراد أكثر ذكاء هم أكثر احتمالاً لتسمية أطفالهم بأسماء غير تقليدية مثل OrangeJello و LemonJello من الأفراد أقل ذكاء. أما من وجهة نظر الفرضيـة ، فكُلٌّ من جون و OrangeJelloهما جديدان تطورياً بنفس القدر، وذلك لأن الكتاب المقدس نفسه وكل الأسماء التقليدية المستمدة منه جديد تطورياً. لذا فإنه لا يُتوقع أن الأفراد الأكثر ذكاء أكثر احتمالاً لتسمية أطفالهم أسماء غير تقليدية. في الواقع، لا يوجد أي دليل على الاطلاق على أن الأفراد الأكثر ذكاء من المرجح أن يفضلوا أسماء غير تقليدية لأطفالهم. إعطاء الأبناء أسماء غير عادية ربما يكون في الواقع دليلاً على انخفاض الذكاء.

تشدد الفرضيـة على ضرورة التمييز بين الجِدَة التطورية والجِدَة التجريبية. ويمكن لها أن تفسر لماذا يكون الأفراد الأكثر ذكاء أكثر عرضة لالتماس الجِدَة التطورية، ولكن ليس بالضرورة الجِدَة التجريبية. كما تقترح أبعد أن يكون الترابط correlationالمُثبَت بين الانفتاح والذكاء مقتصراً على الجِدَة التطورية، وليس بالضرورة الجِدَة التجريبية، ولكن المقاييس الحالية للانفتاح لا تعرض بشكل ملائم لهذا الاقتراح.

هذه المقالة هي ترجمة لمقالة د. كانازاوا.What Does “Novelty” Mean?

لماذا الليبراليون أكثر ذكاءً من المحافظين؟

نقطة لا بد منها: هذه المقالة تنقسم لثلاثة أجزاء، نشرها د. كانازاوا بشكل منفصل رغم الاتصال الواضح في أفكارها، ففضّلت أن أنشرها وحدة واحدة، لتسهل مطالعتها وتتضح معانيها.

لماذا الليبراليون أكثر ذكاء من المحافظين؟

http://www.psychologytoday.com/node/39868

هارييت هايس : أنا لا أعرف حتى ما هما الجانبان في الحروب الثقافية.

مات آلبي : حسناً، جانبك يكره جانبي لانكم تعتقدون أننا تعتقد أنكم أغبياء، ويكره جانبي جانبكم لأننا نعتقد أنكم أغبياء.

ستوديو ٦٠ على قطاع الغروب، يوم نيفادا، الجزء الأول.

من الصعب تعريف مدرسة كاملة من الفكر السياسي بشكل دقيق، ولكن يمكن لأحد أن يعرّف بشكل معقول ماهية الليبرالية (في مقابل المحافظة) في الولايات المتحدة المعاصرة بوصفها: ***الاهتمام الحقيقي برفاه الآخرين غير المرتبطين وراثياً، والاستعداد للمساهمة بنسب أكبر من الموارد الخاصة لأجل رفاهية أولئك الآخرين .*** في سياق الحديث السياسي والاقتصادي، عادة ما تترجم هذه الرغبة في دفع نسب أعلى من دخل الفرد في الضرائب تجاه الحكومة وبرامجها للرعاية الاجتماعية. عادة ما يدعم الليبراليون برامج الرعاية الاجتماعية هذه وزيادة الضرائب لتمويلها، والمحافظون يعارضونهم كالعادة.

وفقاً لهذا التعريف، فالليبرالية جديدة تطورياً. فالبشر (ككل الأنواع الأخرى) مصممون تطورياً ليكونوا إيثاريين تجاه أقاربهم الوراثيين، أصدقائهم وحلفائهم، وأعضاء من الديم (مجموعة من الأفراد تتزاوج فيما بينها) خاصتهم أو جماعتهم العرقية. وليسوا مصممين ليكونوا إيثاريين تجاه عدد غير محدد من الغرباء من غير المحتمل أن يُلاقَوا أو يُتفاعل معهم. وهذا يعود إلى حد كبير لأن أسلافنا عاشوا في مجموعة صغيرة من ٥٠-١٥٠ فرداً متعلقين وراثياً، والمدن الكبيرة والدول مع الآلاف والملايين من الناس هي بنفسها جديدة تطورياً.

إن التفحص للخلاصة ذات الـ١٠ مجلدات "موسوعة الثقافات العالمية"، التي تصف جميع الثقافات البشرية المعروفة للإناسة (anthropology أكثر من ١٥٠٠) بقدر كبير من التفصيل، وكذلك الإثنوغرافيات الأولية الموسعة عن المجتمعات التقليدية، يكشف أن الليبرالية كما عرّفت أعلاه غير موجودة في هذه الثقافات التقليدية. في حين أن تقاسم الموارد، وخصوصا الطعام، شائع جداً بل وإلزامي أحيناً بين قبائل

الصيد والقطف، وفي حين أن التجارة مع القبائل المجاورة غالبا ما تحصل، لا يوجد أي دليل على أن الناس في جماعات الصيد والقطف المعاصرة تتقاسم الموارد بحرية مع أفراد القبائل الأخرى.

لأن جميع أفراد قبيلة الصيد والقطف هم أقارب وراثياً أو على الأقل أصدقاء وحلفاء للحياة، فتقاسم الموارد فيما بينهم ليس مؤهلاً للتعبير عن الليبرالية كما عرّفت أعلاه. نظراً لعدم وجودها في قبائل الصيد والقطف المعاصرة، والتي كثيراً ما تستخدم كنظير في العصر الحديث لحياة أسلافنا، قد يكون من المعقول أن نستنتج أن تقاسم الموارد مع غرباء لم يلتقهم أحد أو لا يحتمل أن يلتقيهم — أي الليبرالية — ليس جزءا من حياة أجدادنا. إذن فقد تكون الليبرالية، بالتالي، جديدة تطورياً، والفرضية تتنبأ بأن الأفراد الأكثر ذكاء هم أكثر احتمالاً من الأفراد الأقل ذكاء لتبني الليبرالية كقيمة.

إن تحليل عينات تمثيلية واسعة، من كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، يؤكد هذا التوقع. ففي كلا البلدين، الأطفال الأكثر ذكاء هم أرجح أن يكبروا كليبراليين من الأطفال الأقل ذكاء. على سبيل المثال، ضمن العينة الأمريكية، أولئك الذين يعتبرون أنفسهم "ليبراليين جداً" في البلوغ المبكر لديهم معدل لنسبة الذكاء في الطفولة: ١٠٦.٤، في حين أن أولئك الذين يعتبرون أنفسهم "محافظين جداً" في البلوغ المبكر لديهم معدل لنسبة الذكاء في الطفولة: ٩٤.٨.

رغم أن الدراسات السابقة تبين أن النساء أكثر ليبرالية من الرجال، والسود أكثر ليبرالية من البيض، فإن تأثير الذكاء في مرحلة الطفولة في الفكر السياسي لدى الكبار هو ضِعْف تأثير الجنس أو العرق. لذلك يبدو أن، كما تتوقع الفرضية، الأفراد الأكثر ذكاء أكثر احتمالاً لتبني قيم الليبرالية من الأفراد الأقل ذكاء، ربما لأن الليبرالية جديدة تطورياً والمحافظة مألوفة تطورياً.

إن الوسيلة الرئيسة التي يساهم بها مواطنو الديمقراطيات الرأسمالية بمواردهم الخاصة من أجل رفاهية الآخرين غير المرتبطين وراثياً، هي دفع الضرائب إلى الحكومة من أجل برامجها للرعاية الاجتماعية. وحقيقة أن المحافظين يعطون مالاً أكثر للجمعيات الخيرية من الليبراليين لا تتعارض مع التنبؤ من الفرضية؛ بل في الواقع تؤيده. إذ يمكن للأفراد عادة اختيار وتحديد المستفيدين من التبرعات الخيرية. على سبيل المثال ، يمكن أن يختاروا إعطاء المال لضحايا زلزال هايتي، لأنهم يريدون مساعدتهم، لا إعطاء المال لضحايا زلزال تشيلي، لأنهم لا يريدون مساعدتهم. وفي المقابل، فإن المواطنين لا يملكون أي سيطرة على من ينتفع من المال الذي يدفعونه في الضرائب. لا يستطيعون فردياً أن يختاروا دفع الضرائب لتمويل الرعاية الصحية، لأنهم يريدون لمساعدة كبار السن من البيض، وليسAFDC ، لأنهم لا يريدون لمساعدة أمهات وحيدات فقيرات من السود. قد يكون هذا على وجه التحديد سبب اختيار المحافظين تقديم المزيد من الأموال

للجمعيات الخيرية الفردية التي يختارونها فردياً في حين معارضتهم لفرض ضرائب أعلى.

وبالمناسبة، هذا الاستنتاج يجسد واحدة من الشكاوى المستمرة بين المحافظين. فكثيرا ما يشكو المحافظون من أن الليبراليين يسيطرون على وسائل الإعلام أو الاستعراض أو الأكاديميا أو بعض المؤسسات الاجتماعية الأخرى. والفرضية تفسر لماذا المحافظون محقون في شكاواهم. فالليبراليون بالفعل يحكمون وسائل الإعلام، أو الاستعراض، أو الأكاديميا، بين مؤسسات أخرى، لأنه، بصرف النظر عن عدد قليل من مجالات الحياة (مثل العمل) حيث تسود الظروف التعويضية، تكون لليبراليين السيطرة على جميع المؤسسات. إنهم يسيطرون على المؤسسات لأن الليبراليين هم في المتوسط أكثر ذكاء من المحافظين، وبالتالي هم أكثر احتمالاً للوصول إلى أعلى مركز في أي مجال من المجالات (الجديدة تطورياً) للحياة العصرية.

إذا كان الليبراليون أكثر ذكاء من المحافظين، فلماذا الليبراليون بلهاء جداً؟

http://www.psychologytoday.com/node/39873

رغم اتفاقه مع تنبؤ الفرضية، فالاستنتاج في إدراجي السابق أن الليبراليين في المتوسط أكثر ذكاء من المحافظين قد لا يتوافق مع معظم الملاحظات والخبرات اليومية لعموم الناس. فإذا كانوا أكثر ذكاء، لماذا الليبراليون ـــ وخاصة أولئك في هوليود والأكاديميا ـــ لديهم احتمال أكبر بكثير من المحافظين لقول وفعل أشياء غبية، واعتناق عقائد مريبة وأفكار تتجاوز المصداقية؟

قد يكون لدى بروس ج. تشارلتون، أستاذ الطب النظري في جامعة باكنغهام ورئيس تحرير "فرضيات طبية"، تفسيرٌ لذلك. فيمقاله الافتتاحي لعدد ديسمبر ٢٠٠٩ من "فرضيات طبية"، يشير تشارلتون إلى أن الليبراليين وأذكياء آخرين قد يكونون "لمّاحين بلهاء"، يطبقون التفكير المنطقي المجرد بشكل غير صحيح في المجالات الاجتماعية والبين-شخصية. وكما شرحتُ في إدراج سابق، فالذكاء العام ـــ القدرة على التفكير والتعقل ـــ من المرجح أنه تطور كآلية نفسية محددة بالمجال تطورت لحل المشاكل الجديدة تطورياً، في حين أن لجميع المشاكل المألوفة تطورياً هناك آليات نفسية متطورة أخرى تخصصت لحلها. تم تجهيز الجميع تطويريا ـــ ذكياً أم لا ـــ بالقدرة على حل هذه المشاكل المألوفة تطورياً في المجالات الاجتماعية والبين-شخصية كالتزاوج، تربية الأطفال، التبادل الاجتماعي، والعلاقات الشخصية، وغيرها من الآليات النفسية المتطورة. يشير تشارلتون إلى أن جُماع كل الآليات النفسية المتطورة الأخرى (باستثناء الذكاء العام) يمثل ما نسميه عادة "الحس السليم." الجميع يمتلك الحس السليم. ولكن لدى الأذكياء ميل للإفراط في تطبيق قدراتهم للتحليل والتفكير المنطقي المستمدة من الذكاء العام بشكل غير صحيح على هذه المجالات المألوفة تطورياً ونتيجة لذلك يخربون الأمور. بعبارة أخرى،

الليبراليين والأذكياء الآخرون ينقصهم الحس السليم، وذلك لأن ذكاءهم العام يتجاوزه. فهم يفكرون في الحالات التي يفترض أن يشعروها. في المجالات المألوفة تطورياً مثل العلاقات الشخصية، عادة ما يؤدي الشعور إلى الحلول الصحيحة في حين أن التفكير لا يؤدي.

شخصياً لا يروق لي مصطلح تشارلتون "لمّاحون بلهاء" — فأنا لا أحب الاستخدام البريطاني لكل من كلمتي: "لمّاح" و "أبله". ولكني، مع ذلك، أتفق تماماً مع تحليله فنياً. فكما يشير تشارلتون، الحس السليم مألوف تطويريا بشكل واضح. لم يمكن لأسلافنا أن يعيشوا يوماً واحداً في بيئتهم المعادية، المليئة بالحيوانات المفترسة والأعداء لو لم يملكوا الحس السليم الفعّال. وهذا هو السبب في أنه أصبح جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة البشرية المتطورة في شكل آليات نفسية تطورت في المجالات الاجتماعية والشخصية. لأن الحس السليم مألوف تطويريا، وبالتالي هو طبيعي، فإن الفرضيـة تتنبأ بأن الناس الأكثر ذكاء قد يكونون أقل احتمالاً إلى اللجوء إليها. ويمكن أن يكونوا أكثر ميلا إلى اللجوء إلى أفكار جديدة تطويريا، لا تنتمي للحسّ السليم، وغبية لحلّ المشاكل في المجالات المألوفة تطويريا.

بالمناسبة، هذا هو السبب في أنني لا أستخدم أبداً كلمات مثل "فطين" و "لمّاح" كمرادفات لـ "ذكي". وبالمثل، لا أستخدم أبداً كلمات مثل "أهبل" و "أبله" كمرادفات لـ "غبي". فـ "الذكي" لديه معنى علمي محدد — الذي يمتلك مستويات أعلى من الذكاء العام — في حين أن "فطين" و "أبله" لها علاقة أكبر مع الحس السليم منها مع الذكاء. من وجهة نظري، فالناس الأكثر ذكاء مثل الليبراليين من الأرجح أن يكونوا "بلهاء" (يفتقرون إلى الحس السليم)، في حين أن الناس الأقل ذكاء مثل المحافظين من الأرجح أن يكونوا "فطّناً".

ومرة أخرى، مات ستون وتري باركر — مبدعا "ساوث بارك" — يصيبونها تماماً. ففي حلقة"Go God GO XII" ، يقول الفرد الحكيم (الزعيم المسن لثعالب الماء الملحدة)، مشيراً إلى ريتشارد دوكينز:

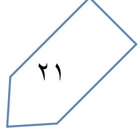
"لعل دوكينز العظيم لم يكن بتلك الحكمة. أوه، لقد كان ذكياً، ولكن بعض من ثعالب الماء الأكثر ذكاء التي عرفتُ كانت تخلو تماماً من الحس السليم" .

ما كان لشخصي اللعين أن يقولها بشكل أفضل.

تكملة حول الليبراليين الأذكياء البلهاء

http://www.psychologytoday.com/node/40598

قد تكون هناك أسباب أخرى وراء تبني أناس أذكياء كالليبراليين لأفكار غبية.



في إدراجي السابق، ناقشت فكرة بروس ج. تشارلتون عن "لمّاحين بلهاء". يقترح تشارلتون أن الأشخاص الأذكياء لديهم ميل للإفراط في تطبيق قدراتهم المنطقية والتحليلية (التي يوفرها ذكاءهم الأعلى) بشكل غير لائق على المجالات الاجتماعية والشخصية، حيث الشعور، لا التفكير، هو عادة ما يؤدي إلى الحلول الصحيحة. فالأذكياء ينقصهم الحس السليم، لأن الحس السليم مألوف تطويريا، والفرضية تشير إلى أن الأشخاص الأذكياء بالتالي هم أقل عرضة إلى اللجوء إلى الحس السليم المألوف تطويريا، الذي من شأنه أن يؤدي إلى حلول صحيحة لمعظم المشاكل في المجالات الاجتماعية والشخصية.

والآن، قارئ منتظم لمدونتي، السيد مادس أندرسن، يقدم تفسيراً آخر محتملاً لكون أناس أذكياء كالليبراليين يتبنون أفكاراً غبية. لدى السيد أندرسن اقتراحان رائعان، وكلاهما يستفيد من" مبدأ الإعاقة"، الذي اقترح لأول مرة من قبل الأحيائي الإسرائيلي" أموص زهافي."

المثال الرئيسي للإعاقة هو ذيل الطاووس. فالذيل الطويل المفصل المزخرف للطاووس ليس له أي قيمة تكيفية، وهو لا تخدم أي غرض مفيد ملموس، من شأنه أن يساعد الطاووس في البقاء على قيد الحياة. في الواقع ، إنه فقط يضر فرص بقائها. الطاووس ذوات الذيول الأطول الأكثر تفصيلا هي أسهل للمفترسات في الصيد والقتل، من الطواويس الرفيقة ذات الذيول الأقصر والأبسط. فهي إذن ليست سوى تكاليف بلا منافع. ولكن، وفقاً لزاهافي، هذه بالضبط هي النقطة. فذكور الطواويس يعلنون للإناث: "انظرن، أنا مناسب وراثياً ويمكنني أن أركض بسرعة حتى أتمكن من الهرب من المفترسات، مع هذا الشيء الضخم المتدلي من مؤخرتي! الرفاق الآخرون ليسوا مناسبين والسبب الوحيد الذي يمكّنهم من التهرب من المفترسات هو أن ذيولهم أقصر. ولن يكونوا قادرين على التهرب من الحيوانات المفترسة لو كانت ذيولهم بطول ذيلي! إذن، جينات من تريدن لذريتكن أن يحملوا؟ " وإناث الطاووس بالفعل يفضلن التزاوج مع ذكور الطاووس ذوي الذيول الأطول والأكثر تفصيلاً وتناظراً، والتي يكون الحفاظ عليها مكلفة للغاية بيولوجياً، وذلك لكي يكون لذريتهم الذكور أيضا ذيول أنيقة طويلة مفصلة، تجتذب الإناث من جيلهم.

نفس الفكرة يلتقطها التعبير "أقاتل مع ذراع واحدة مقيدة خلف ظهري." فأي مقاتل يمكنه أن يكسب معركة مع ذراع واحدة مقيدة خلف ظهره، من الطبيعي أن يكون أقوى وراثياً وأكثر ملاءمة من أي شخص يحتاج لكلتا يديه للقتال. يقترح زاهافي وأحيائيون آخرون أن العديد من الصفات التي قد توحي بالعبثية ذيول الطاووس الطويلة قد تكون تطورت كعوائق، أو إشارات صادقة إلى اللياقة البدنية والجينية للشركاء المحتملين. ولذلك فهي منتقاة جنسياً (إذ تزيد من النجاح التكاثري لحاملها)، على الرغم من أنها غير منتقاة طبيعياً (لا تزيد من فرص البقاء لحاملها.(

أفكار السيد أندرسن تستثمر مبدأ الإعاقة لزهافي. فأولاً، يشير السيد أندرسون إلى أن الأفراد أكثر ذكاء يميلون إلى تبني الأفكار المعقدة عبثياً كإشارة صادقة لذكائهم الأعلى. فلأن الحس السليم مألوف تطويريا، وجميع البشر مجهزون بالحس السليم ، فإنه بحكم التعريف هو الحل الأبسط والأسهل المتاح لهم. أما الناس الأكثر ذكاء فيرفضون الحل "التبسيطي" الذي يقدمه الحس السليم، ويتبنون بدلاً منه أفكاراً معقدة بدون داعٍ لمجرد أن ذكاءهم يسمح لهم بالتمتع بهذه الأفكار المعقدة، حتى عندما تكون غيرَ صحيحة أو غير مفيدة في حل المشكلة الحاضرة.

وقد لاحظ العديد من المراقبين أن هذا بالفعل هو ما يحدث في الأوساط الأكاديمية. ففي مجالات مثل النقد الأدبي، تفتقر إلى معايير موضوعية لتقييم الأفكار الخارجية (على النقيض من نظريات العلوم الطبيعية التي يجب أن تقيّم على أساس الطبيعة)، أو في المجالات العلمية الزائفة كعلم الاجتماع، حيث لا يمكن لأحد أن يتفق على ماهية الحقيقة، والفكر السياسي يصادر الأدلة التجريبية، يكافأ الأكاديميون بنحو متزايد على اقتراح أفكار معقدة وسخيفة كنظرية استجابة القارئ أو البنيوية الاجتماعية. يشير السيد أندرسون إلى أن هؤلاء الأكاديميين قد يقولون (دون وعي): "انظروا، لدي فائض من الذكاء بحيث ليس عليّ الذهاب للجواب الواضح والبسيط (وإن كان الصحيح). فأنا أستطيع اختلاق أفكار معقدة عبثياً لان ذكائي الأعلى يسمح لي بذلك"!

وثانياً، يشير السيد أندرسن إلى أن عديداً من الليبراليين السياسيين، وخاصة في هوليوود والأكاديميا، هم أنفسهم مكتفون مادياً ولا يستفيدون شخصياً أو مباشرة من السياسات الليبرالية لزيادة رفاهية الدولة. ومرة أخرى، قد يكون الليبراليون يعطون إشارة صادقة لأنهم جمّعوا ولا يزالون قادرين على تجميع المزيد من الموارد بحيث يمكن أن يتحملوا دفع ضرائب أعلى، ويوفروا المنافع العامة لفائدة أشخاص آخرين. فلو لم يكونوا قادرين على تجميع الموارد بأنفسهم، لما كانوا قادرين على تحمل دفع ضرائب أعلى لتمويل برامج للرعاية الاجتماعية لا يستفيدون منها مباشرة. ففي الجوهر، هم يقولون (دون وعي): "انظروا، أنا ثري جداً بحيث يمكنني تبديد أموالي على الآخرين"!

أعتقد أن السيد أندرسن قد يكون على حق في اقتراحَيه. ولكني لا أظن أن تفسيراته بالضرورة تستبدل تلك التي قدمها البروفيسور تشارلتون والتي شرحتها في إدراجي السابق. بدلا من ذلك، فقد تكون أسباب إضافية لكون الناس الأكثر ذكاء من المرجح أن يصبحوا ليبراليين ويتبنوا أفكار غبية كإشارات صادقة إلى لياقتهم الجينية وقدراتهم الفكرية الأعلى. ليس من الضروري أن يكون أحد مخطئاً ليكون الآخر على حق، بل قد يكون كلاهما محقاً على حد سواء ويقدم إجابات جزئية.

لماذا يصوّت الناس؟ ثلاث مقالات في البحث عن دوافع الانتخابات

هذا الموضوع هو ترجمة لمقالات الدكتور ساتوشي كانازاوا **Why Do People Vote? I, II, III.**

الحلـ ا ـقة



"صوتك محسوب" .. هل هذا صحيح؟

لماذا يُقبل الملايين من الناس على التصويت في كل انتخابات وطنية في الولايات المتحدة وسائر الديمقراطيات الكبرى هي إحدى الألغاز الدائمة في نظرية الاختيار العقلاني في علم السياسة. فلماذا يصوت الناس؟

لو فكرتَ في ذلك، فالتصويت في انتخابات وطنية كبيرة – كالانتخابات الرئاسية الأميركية – هو عمل لاعقلاني لأقصى درجة، وذلك لأن احتمال أن صوتك سيحدث فرقا في النتيجة هو ضئيل للغاية. أن أكثر انتخابات رئاسية تقاربا في التاريخ كانت في سباق عام ١٩٦٠ بين جون ف. كنيدي وريتشارد م. نيكسون. في تلك الانتخابات، كان هامش كينيدي في التصويت الشعبي على نيكسون هو ١١٨,٥٧٤. متجاهلين للحظةٍ تعقيدَ نظام المجمع الانتخابي، هذا يعني أن احتمال أن أي ناخب من شأنه التأثير على نتائج انتخابات عام ١٩٦٠ كان ١/١١٨,٥٧٤ = ٠.٠٠٠٠٠٨٤٣٣٥٥. عادة ما يكون الاحتمال أصغر بكثير جداً من ذلك. في انتخابات عام ٢٠٠٠ الرئاسية ، لو صادف أن تعيش في واحدة من المقاطعات

الأربع الحاسمة في ولاية فلوريدا ، فاحتمال كونك تؤثر على النتيجة كانت أكبر بكثير (إنما لا تزال صغيرة جداً) ، ولكن عليك إذن أن تضرب هذا الاحتمال باحتمال صغير جداً، إن صادف أن تجد نفسك تصوِّت في هذه المقاطعة الحاسمة، والمنتج النهائي سيكون أصغر حتى من ٠.٠٠٠٠٠٨٤٣٣٥٥ (فيما عدا، في تلك الانتخابات الرئاسية بالخصوص، أن تلقى الخاسر أصواتَ أكثر شعبية منها للفائز ــــ وذلك لتعقيد نظام المجمع الانتخابي).

كيفما حاولت النظر إليه، فالتصويت أمر لاعقلاني. فصوت شخص واحد لن يحدث أبداً أي فرق في انتخابات وطنية كبيرة. إذا كانت مرشحتك المفضلة ستفوز، فسوف تفوز حتى إن لم تصوِّت لصالحها. وإذا كان مرشحك المفضل سيخسر، فسوف يخسر حتى لو صوتْتَ لصالحه. الاستنتاج الذي لا مفر منه هو أنه، خلافاً للاعتقاد السائد والدعاية الحكومية ، صوتك لا يؤثر. فلماذا ينفق الملايين من الناس وقتهم ، وطاقتهم، ومالهم ليدلوا بأصواتهم لو كان ذلك لن يحدث أي فرق في نتائج الانتخابات؟

أحد الأسباب التي كثيراً ما يطرحها الناس حول التصويت هو "لكن ماذا لو كان الجميع يفكرون هكذا؟". والاستدلال يجري هكذا: إذا كان الجميع يرى التصويت غير منطقي ومضيعة للوقت، فإن أحدا لن يصوِّت والديمقراطية ستنهار. هذا ما يُعرف بالتفكير السحري، وهو مغالطة شائعة جدا. فغالباً ما يعتقد الناس بأن ما يفعلونه أو يفكرون به سيؤثر بالآخرين وسيجعلهم يفكرون ويتصرفون كما يفعلون. لذا، وفي هذا المظهر من التفكير السحري، يعتقد الناس أنهم إذا تكلفوا عناء التصويت، فالجميع في هذا البلد سيصوت، والديمقراطية الأميركية ستزدهر، ولكن إذا لم يتكلفوا هذا العناء، فالجميع في البلد سيفكرون مثلهم، لا أحد سيصوِّت، والديمقراطية الأمريكية سوف تنهار. بطبيعة الحال، هذه مغالطة. قراركم أن تصوتوا أو لا لن يؤثر على أن يصوّت الآخرون أو لا (إلا إذا كنت شخصاً له تأثير كبير وتقوم بإعلان نية تصويتك للعالم في وقت سابق للانتخابات).

سبب آخر للتصويت، يطرحه علماء السياسة كما الأفراد العاديون، هو أنه واجب مدني على كل مواطن في أي بلد ديمقراطي أن يصوِّت في الانتخابات. إنه ليس حول محاولة التأثير في نتائج الانتخابات، بل حول القيام بواجبكم كمواطنين ديمقراطيين من خلال التصويت في الانتخابات. هذا المنطق يفشل على الأقل لسببين منفصلين. *الأول*، لدى الواجب الوطني لدعم الديمقراطية نفس المشكلة في التأثير على نتائج الانتخابات كسببٍ للتصويت. فشخص واحد لا يصنع أي فرق في النتيجة الجماعية، كما أنه يتطلب غالبية كبيرة من المواطنين لتتدعم الديمقراطية. إذا كان للديمقراطية أن تتدعم، فستتدعم من دون صوتك، أو أن تنهار، فستنهار حتى لو كنت قد صوتْتَ. سيحتاج الأمر جرعة صحية من التفكير السحري لكي تعتقد بأن مستقبل وصحة الديمقراطية يعتمدان على صوتك.

الثاني، ينص الواجب المدني للمواطنين الديمقراطيين ببساطة على أنه لا بد للمرء من التصويت في الانتخابات. فهو لا يقول ما إذا كان عليك التصويت للديمقراطيين أو الجمهوريين. لذلك فسوف توفون بواجبكم المدني كمواطنين ديمقراطيين ببساطة من خلال الوصول إلى مركز الاقتراع والإدلاء بأصواتكم. لا يهم من ستصوّتون له. إذن فإذا كان السبب هو التصويت لتأدية واجب وطني وليس للتأثير على نتائج الانتخابات ، فإنه، مرة واحدة داخل غرفة الاقتراع، سوف يصوت الناس بشكل عشوائي. فقد أدوا بالفعل واجبهم المدني من الخروج للإدلاء بأصواتهم، ولا يهم من الذي كانوا سيصوتون لصالحه. ولكن واقعاً فكل شخص يذهب للتصويت يصوّت لمرشحه المفضل، *وليس أبدا* لمنافسه، وهذا يعني ***أنه*** على وشك محاولة التأثير على النتيجة.

لذا، وثانيةً، لماذا يصوت الناس؟ ليست هناك إجابة قاطعة يتفق عليها الجميع، ولكن هناك بعض الأفكار. سأتحدث عنها في إدراجي اللاحق.

الحلـ ‖ ـقة



نيكسون × مكغوفرن، مرشحا ١٩٧٢ للرئاسة الأميركية

إن مفارقة إقبال الناخبين – لماذا يتكلف الملايين من الناس عناء التصويت في انتخابات وطنية كبيرة عندما لا يكون لديهم عمليا أي فرصة للتأثير على النتيجة؟ – هي إحدى الألغاز النظرية الرئيسية في نظرية الاختيار العقلاني في علم السياسة. إنها اللغز النظري الذي حاولت أن أعالج حين كنت منظّراً للاختيار العقلاني.

في مقالتي لعام ١٩٩٨ في***Journal of Politics*** ، كنت أعتمد على نموذج التعلم التصادفي (وهو تنويع من التحكم بالمؤثرات في السلوكية) لمحاولة حل مفارقة إقبال الناخبين. واقترحتُ أن الناخبين ربما لا يحاولون التأثير على نتائج الانتخابات في*المستقبل*، ولكن بدلاً يستجيبون لنتائج الانتخابات *الماضية* .ربما لأنهم

يستخدمون تركيباً مما فعلوه في الانتخابات الأخيرة، وما أنتجته الانتخابات كدليل على ما يجب القيام به الآن في عملية تعلمهم. فلو أنهم صوتوا في الانتخابات الأخيرة وفاز مرشحهم المفضل، *فسيتعزز* تصويتهم، ووفقاً لمنطق التعزيز، سيزداد الاحتمال عن ذي قبل للتصويت له في الانتخابات المقبلة. ولو أنهم، من جهة أخرى، صوتوا في الانتخابات الأخيرة، وخسر مرشحهم المفضل، فإن تصويتهم *سيُعاقب*، وسيصبح أقل احتمالا من ذي قبل أن يصوتوا له ثانيةً في الانتخابات القادمة.

ونفس المنطق ينطبق إذا امتنعوا عن التصويت في الانتخابات الأخيرة. فإذا فاز مرشحهم المفضل، فامتناعهم سيتعزز، ومرة أخرى وفقاً لمنطق التعزيز، ينبغي أن يصبحوا أكثر عرضة للامتناع (أو أقل احتمالاً للتصويت) في الانتخابات المقبلة. أو خسر مرشحهم المفضل خسر، فامتناعهم سيُعاقب وينبغي أن يكونوا أقل احتمالاً للامتناع (أو أكثر ميلاً إلى التصويت) في الانتخابات القادمة.

لقد اختبرت *نموذج التعلم التصادفي لإقبال الناخبين* هذا مع بيانات دراسة الانتخابات الوطنية الأمريكية. تبحث الدراسة في نمط تصويت الشعب في ثلاثة انتخابات وطنية على التوالي (انتخابات ١٩٧٢ الرئاسية، انتخابات ١٩٧٤ للتجديد النصفي للكونغرس، وانتخابات ١٩٧٦ الرئاسية). إحدى السمات الفريدة لدراسة الانتخابات الوطنية الأمريكية هو أن أصوات المشاركين *يتم التحقق منها* .وبعبارة أخرى، بعد أن سئل المشاركين سواء كانوا أو لم يكونوا أدلوا بأصواتهم في الانتخابات، ذهب المستطلع إلى دوائر المشاركين الانتخابية وتحقق من تصويتهم. لأن التصويت يعتبر بتلك المعيارية (جزءاً مهماً من تنفيذ الواجب المدني للفرد)، فالكثير من الناس يكذبون بشأن تصويتهم. (ولكن، كما يمكنك أن تتخيل، فهم يكذبون في اتجاه واحد. غير المصوتين كثيراً ما يدعون أنهم صوتوا، ولكن لا يدعي أي مصوّت أبداً أنه لم يصوت.) إن دراسة الانتخابات الأمريكية الوطنية تسمح للباحثين أن يشقوا دربهم خلال تحريفات المشاركين ويلاحظوا ما إذا كانوا أو لم يكونوا صوتوا *حقاً*، بغض النظر عمّا يزعمون أنهم فعلوه.

إن تحليلي للبيانات يؤيد نموذج التعلم التصادفي لإقبال الناخبين على أكمل وجه. فأولئك الذين صوتوا للفائز في انتخابات ١٩٧٢ الرئاسية (ريتشارد نيكسون) أصبحوا أكثر احتمالاً في التصويت مرة أخرى سواءٌ في انتخابات ١٩٧٤ للتجديد النصفي للكونجرس وانتخابات ١٩٧٦ الرئاسية. وأولئك الذين صوتوا لصالح الخاسر في انتخابات ١٩٧٢ الرئاسية (جورج ماكغوفرن ، جون ج. شميتز، وغيرهم من المرشحين الأصغر) يصبحون أقل احتمالا للتصويت سواءٌ في انتخابات ١٩٧٤ للتجديد النصفي للكونجرس وانتخابات ١٩٧٦ الرئاسية.

نفس العملية تؤثر على غير المصوتين أيضاً. فأولئك الذين امتنعوا عن التصويت في انتخابات ١٩٧٢ الرئاسية لكنهم أيدوا نيكسون يصبحون أقل احتمالاً للتصويت

في انتخابات لاحقة (لأنهم حصلوا على ما يريدون من دون أن يكلفوا أنفسهم عناء التصويت). في المقابل ، ممتنعو عام ١٩٧٢ الذين أيدوا ماكغوفرن أو شميتز يصبحون أكثر ميلا للتصويت في الانتخابات اللاحقة. هذه النتائج الأولية لانتخابات ١٩٧٢-١٩٧٤-١٩٧٦ من الجمعية الأمريكية الوطنية لدراسة الانتخابات تم تكرارها لاحقاً مع بيانات المسح الاجتماعي العام على عدد أكبر من الانتخابات الرئاسية من ١٩٧٢ حتى ١٩٩٢. ونشرت هذه النتائج في مقالتي عام ٢٠٠٠ في. ***American Sociological Review***

في معظم الانتخابات الرئاسية، يقوم ما يقرب من نصف الشعب بالتصويت للمرشح الفائز، وما يقرب من النصف الآخر بالتصويت للمرشح الخاسر. بعبارة أخرى، ما يقرب من نصف الناخبين لديهم تصويت متعزز في أي انتخابات معينة، والنصف الآخر لديهم تصويت معاقَب. لذا فيمكن لنموذج التعلم التصادفي لإقبال الناخبين يمكن أن يفسر، بين أمور أخرى، لماذا ما يقرب من نصف الناخبين المؤهلين يختارون أن يصوتوا في كل انتخابات رئاسية.

إذن يبدو أن الناس قد يكونون متعلمين تكيفياً بالنظر للخلف (أي يستجيبون لحوادث التعزيز الماضية، ويصبحون بالتالي أكثر عرضة لتكرار الاستجابة المعززة وأقل عرضة لتكرار الاستجابة المعاقبة) ، بدلاً من معظمين للنفع بالنظر للإمام (الذين يدخلون في السلوك العقلاني الذي يصمم بهدف التوصل إلى النتيجة المرجوة في المستقبل). إنها ليست إمكانية التأثير على نتائج الانتخابات المقبلة التي تؤثر على احتمال تصويتهم؛ إنه ترابط سلوكهم مع النتيجة المرجوة في الماضي.

ولكن هذا الاستنتاج يطرح ببساطة أكثر من سؤال. لماذا الناس هم متعلمون تكيفياً بالنظر للخلف؟ لماذا يستجيب الناس لنتائج الانتخابات الماضية كما لو كان تصويتهم فارقاً؟ إذا كان لاعقلانياً الاعتقاد بأن تصويتهم سيُحدث فرقاً في نتائج الانتخابات المقبلة (وهو كذلك)، لماذا هو عقلاني الاعتقاد بأن تصويتهم كان فارقاً في الانتخابات الماضية (وهو لم يكن)؟ لماذا يشعر الناس الذين صوتوا للفائز وكأن سلوكهم قد كوفئ؟ لماذا يشعر الناس الذين صوتوا للفائز وكأن سلوكهم قد عوقب؟ سأشرح ذلك في تدوينتي المقبلة.

الحلـ III قة



هل كانت هناك "انتخابات" في العصر الحجري؟

حتى بعد أن تركت ميدان نظرية الاختيار العقلاني في السياسة وأصبحت نفسانياً تطورياً، لا زالت مفارقة الإقبال على التصويت (وتحليلي النظري لها) تؤرقني. لماذا يتصرف الناس وكأن تصويتهم أحدث فرقاً في نتائج الانتخابات الماضية؟

من المنظور النفسي التطوري، فإنه من المنطقي للناس أن يشعروا شخصياً بالمسؤولية عن نتائج صنع القرار الجماعي كإجراء الانتخابات. تذكروا أن مبدأ السافانا يقترح أن العقل البشري هو منحاز لإدراك البيئة كما لو كانت لا تزال بيئة الأسلاف، حيث كنا صيادين-لاقطين يعيشون في جماعة صغيرة من ٥٠-١٥٠ فرداً تجمعهم علاقات. وفي بيئة الأسلاف، لم تكن هناك انتخابات وطنية واسعة مع ملايين الناخبين أو البطاقات السرية.

تخيل أنك كنت سلفنا الذي يعيش في السافانا الأفريقية كصياد-لاقط. إن كنت تقول لأعضاء جماعتك، "دعونا نذهب إلى الجبال لاصطياد الخنازير البرية"، ومنافسك يقول "دعونا نذهب إلى الغابات ونصيد القرود"، وجماعتك تقرر بشكل جماعي الذهاب إلى الجبال لاصطياد الخنازير البرية، فإنه ليس من غير المعقول لك إطلاقاً أن تظن أن وجهة نظرك ("تصويتـ" ـك) كان له تأثير على القرار الجماعي. أولاً، الجماعة صغيرة، فكل بالغ في جماعة ١٥٠-شخص يملك نصيبا أكبر بكثير في التصويت الجماعي من مواطن في الانتخابات الرئاسية الأميركية. وثانياً، "التصويت" (اتخاذ قرار جماعي) في بيئة الأسلاف لا تنطوي على الاقتراع السري. فكل أحد في الجماعة يعرف كيف "صوت" كل أحد آخر. وخلافا للانتخابات الوطنية الحديثة، فرأيك ورأي خصمك قد لا يوزنان بتساوي. فلديك كل

الأسباب (العقلانية) التي تدعو للاعتقاد بأن تصويتك كان له تأثير على النتائج الجماعية، ويجب أن تستمر في محاولة التأثير على القرار الجماعي للجماعة. وعلى العكس، فلدى منافسك كل الأسباب (العقلانية) التي تدعو للاعتقاد بأن رأيه لا يحمل وزنا في جماعتك ، وربما ينبغي عليه أن يكف عن محاولة التأثير على قرار المجموعة.

في مقالتي لعام ٢٠٠١ في **_Social Forces_** ، تكهنت بأن هذا قد يكون السبب في أننا نعدّ النتائج الانتخابية للانتخابات الأخيرة كمعززات أو معاقبات على استجابتنا الأخيرة (إما التصويت أو الامتناع عنه). وبعد ثماني سنوات، قام فريق من علماء الأعصاب، بقيادة كيفن س. لابار في مركز علم الأعصاب الإدراكي في جامعة ديوك ، بطرح أول دليل مباشر يؤيد تكهناتي.



الدكتور كيفن س. لابار، عالم الأعصاب

في مقالهم" *الهيمنة، والسياسة، والفسلجة: تغيرات تستوستيرون الناخبين في ليلة انتخابات ٢٠٠٨ الرئاسية للولايات المتحدة* "التي نشرت في **_PLoS One_** (مكتبة علمية مفتوحة للبحوث العلمية والطبية)، أخذ لابار وزملاؤه عينات لعاب من ٥٧ من الناخبين و ١٠٦ من الناخبات في ليلة الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٨، في الساعة ٢٠:٠٠ قبل الإعلان عن الفائز ، وفي لحظة الإعلان عن الفائز ، وبعد ٢٠ دقيقة من الإعلان عن الفائز ، وبعد ٤٠ دقيقة من الإعلان عن الفائز. كما تظهر الرسوم البيانية أدناه، مستوى تستوستيرون المرأة لم يبدو أنه يتفاوت كدالة للمرشح الذي دعمته. وفي تناقض حاد، بين الرجال، حافظ الذين صوتوا لصالح أوباما على مستويات عالية من التستوستيرون، في حين أن حدث للذين صوتوا لصالح ماكين وسائر المرشحين الصغار انخفاض حاد في مستوى التستوستيرون بعد ٤٠ دقيقة من الإعلان عن الفائز.

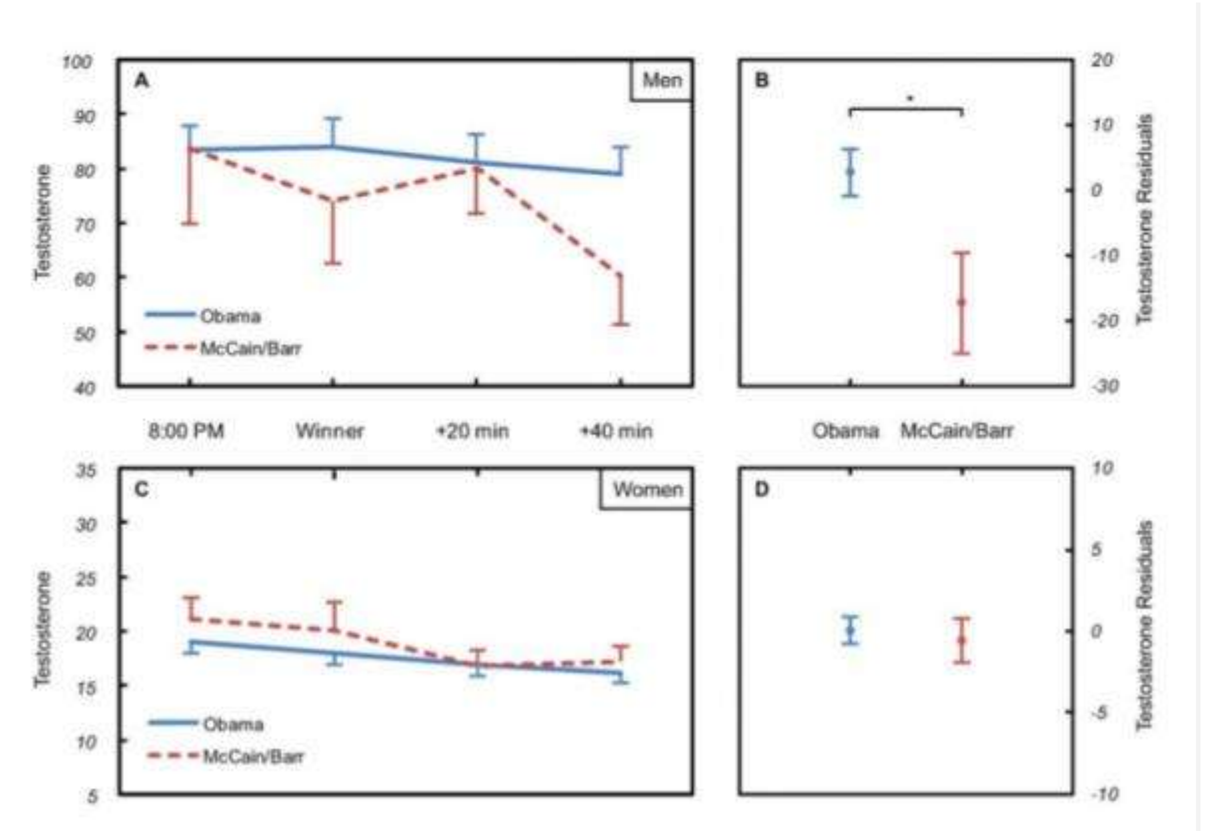


Figure 1. Testosterone changes on election night. Time-course of salivary testosterone (in pg/mL) in U.S. Presidential election voters on November 4th, 2008. In Panels A & C, times depicted correspond to T1 through T4 as described in the paper. Testosterone residual change scores from T1 to T4 in men (Panel B) and women (Panel D) who voted for the winner (Obama) or the losers (McCain or Barr).
doi:10.1371/journal.pone.0007543.g001

الرسم البياني لمستويات التستوستيرون، قبل إعلان نتائج الانتخابات وبعدها

وكانت دراسات سابقة قد أظهرت أن مستويات تستوستيرون الرجال من لاعبي التنس ولاعبي الشطرنج من الذكور (نعم، لاعبي الشطرنج) تتذبذب كدالة لنتائج المسابقة. فمستويات تستوستيرون الفائزين تبقى مرتفعة بعد فوزهم، في حين أن مستويات تستوستيرون الخاسرين تنخفض بحدة بعد الهزيمة، ربما للحث على السلوك المنقاد لاحقاً لهزيمتهم في المسابقة. إن دراسة لابار وآخرين هي أول استعراض تجريبي على أن أنصار مرشحي الرئاسة يأخذ نتائج الانتخابات بنحو شخصي كما يأخذ لاعبو التنس والشطرنج نتائج مبارياتهم. يبدو أن الناخبين الذكور على الأقل يأخذون نتائج الانتخابات بنحو شخصي، مما يتسق وتكهناتي. إذا كانت هذه النتيجة قابلة للتكرار والتعميم، فقد نعرف أخيرا لماذا يصوت الناس.

مقالة الشهر الماضي: عشر حقائق غير صحيحة سياسياً حول الطبيعة البشرية



الدكتور ساتوشي كانازاوا، أحد مؤلفَي الكتاب الذي لخصت أفكاره في هذه المقالة

بقلم: آلان س. ميلر وساتوشي كانازاوا.

طبيعة الإنسان هي إحدى تلك الأشياء التي يتحدث عنها الجميع ولكن لا أحد يستطيع أن يعرّفها بدقة. في كل مرة نقع في الحب، نتعارك مع أزواجنا، ننزعج من تدفق المهاجرين إلى بلادنا، أو نذهب إلى الكنيسة، فنحن ، جزئياً، نتصرف كحيوانات إنسانية من خلال مع طبيعتنا الفريدة المتطورة – الطبيعة البشرية.

وهذا يعني شيئين *أولاً* ، أفكارنا ومشاعرنا وسلوكنا يتم إنتاجها ليس فقط من خلال تجاربنا الفردية وبيئة حياتنا الخاصة، وإنما أيضا بسبب ما حدث لأجدادنا منذ ملايين السنين *ثانياً*، أفكارنا ومشاعرنا وسلوكنا مشتركة، إلى حد كبير، بين جميع الرجال أو النساء، على الرغم من الاختلافات الثقافية التي تبدو كبيرة.

إن السلوك البشري هو نتاج لطبيعتنا البشرية الفطرية وتجربتنا وبيئتنا الفردية معاً. في هذه المقالة، سنؤكد على التأثيرات البيولوجية على السلوك البشري، لأن معظم العلماء الاجتماعيين يفسرون السلوك البشري كما لو أنه توقف عن التطور عند

الرقبة، وكأنّ سلوكنا هو تقريباً نتاج كلي للبيئة والتنشئة الاجتماعية. في المقابل، يرى علماء النفس التطوري الطبيعة البشرية على أنها مجموعة من التكيفات النفسية التي غالباً ما تعمل تحت التفكير الواعية لأجل حل مشاكل البقاء والتكاثر عن طريق تهيئتنا لأن نفكر أو نشعر ببعض الطرق. تفضيلنا للحلويات والدهون هو آلية نفسية متطورة. فنحن لا نختار أن نحب الحلويات والدهون، بل هي فقط طيبة الطعم بالنسبة لنا.

إن مترتبات بعض الأفكار في هذه المقالة قد تبدو غير أخلاقية، مخالفة لمثلنا العليا، أو مهينة. نحن نقرّها لأنها صحيحة، ومؤيدة بالأدلة العلمية الموثقة. شئنا أم أبينا، فالطبيعة البشرية هي ببساطة غير صحيحة سياسياً.

هذه المقالة مهيئة من*"* ***لماذا لدى الناس الوسماء مزيد من البنات"***، لآلان س. ميلر وساتوشي كانازاوا ، نشرته دار Perigee في سبتمبر ٢٠٠٧.

1.الرجال يحبون الشقراوات المتفجّرات (والنساء يُرِدن أن يبدون مثلهن)

لفترة طويلة قبل التلفاز – في إيطاليا القرن الـ١٥ – ١٦، وربما منذ ألفي سنة – كانت النساء يصبغن شعرهنّ بالأشقر. وأشارت دراسة حديثة إلى أنه في إيران، حيث التعرض لوسائل الإعلام والثقافة الغربية محدودة، فالنساء أكثر انشغالاً في الواقع حول صورة جسدهن، ويردن أن يفقدن وزناً أكبر، من نظيراتهن في أميركا. فمن الصعب أن نعزو تفضيلات ورغبات النساء في إيطاليا القرن الـ١٥ وإيران القرن الـ٢١ إلى التكييف الاجتماعي لوسائل الإعلام.

إن رغبة المرأة في الظهور مثل **باربي** – *شابّةً بخصر نحيل، نهدين كبيرين، شعر أشقر طويل وعيون زرقاء* – هي الرد المباشر، الواقعي والمعقول على رغبة الرجل في التزاوج مع النساء اللواتي يبدون مثلها. لا يوجد منطق تطوري وراء كل هذه الميزات.

يعود تفضيل الرجال للنساء الشابات في جزء منه لأنهن أميل لأن يكُنَّ أكثر صحة من النساء الأكبر. وأحد المؤشرات الدقيقة على الصحة هو الجاذبية البدنية؛ والآخر هو الشعر. فللنساء الصحيحات شعر لامع ومشرق، في حين شعر المريضات يفقد بريقه. ولأن الشعر ينمو ببطء، فالشعر بطول الكتف يكشف عن عدة سنوات من الحالة الصحية لأي امرأة.

ولدى الرجال أيضاً تفضيل عالمي للنساء ذوات نسبة خصر-إلى- فخذ منخفضة. فهنّ أكثر صحة وخصوبة من سائر النساء؛ ويقضين وقتاً أسهل في حمل الطفل ويقمن بذلك في سن مبكرة لأن لديهنّ كميات أكبر من الهرمونات الإنجابية الأساسية. وبالتالي فالرجال يسعون بغير وعي وراء النساء الأكثر صحة وخصوبة عندما يسعون وراء ذوات الخصور الصغيرة.

حتى وقت قريب جدا، كان من الألغاز في علم النفس التطوري هو سببُ تفضيل الرجال لذوات الأثداء الكبيرة، بما أن حجم ثديي المرأة لا علاقة له بقدرتها على إفراز الحليب. لكن الأنثروبولوجي فرانك مارلو من جامعة هارفارد يدعي أن الأثداء الأكبر، ومن ثمَّ الأثقل، ترتخي بشكل أكثر وضوحاً مع التقدم في السن عن الأثداء الأصغر. وبذلك فإنها تجعل من السهل على الرجال أن يحكموا على سن المرأة (وقيمتها الإنجابية) بالنظر، مما يقترح سبب أن الرجال يجدون ذوات الأثداء الكبيرة أكثر جاذبية.

وبدلا من ذلك، ربما يفضل الرجال النساءَ ذوات الأثداء الكبيرة لنفس سبب أنهم يفضلون ذوات الخصور الصغيرة. فقد كشفت دراسة جديدة حول النساء البولنديات عن أن النساء ذوات الأثداء الكبيرة والخصور الضيقة لديهن خصوبة أكبر، ويتضح ذلك من مستوياتهن لهرمونين إنجابيين (إستراديول وبروجسترون.(

يتفرد الشعر الأشقر بأنه يتغير بشكل كبير مع تقدم العمر. عادة، فإن الفتيات الصغيرات ذوات الشعر الأشقر الفاتح يصبحن نساءً بشعر بني. وبالتالي، فالرجال الذين يفضلون أن يتزاوجوا مع نساء شقراوات إنما يحاولون بغير وعي التزاوج مع النساء الأصغر سناً (وبالتالي، في المتوسط، الأكثر صحة وخصباً .(ليس من قبيل المصادفة أن الشعر الأشقر تطور في اسكندنافيا وشمال أوروبا، ربما كوسيلة بديلة للنساء ليُعلِنَّ عن شبابهن، لأن أجسامهن كانت مخبأة تحت الملابس الثقيلة.

النساء ذوات العيون الزرقاء لا ينبغي أن يكنّ مختلفات عن ذوات العيون الخضراء أو البنية. ولكن تفضيل العيون الزرقاء يبدو عالمياً ولا يمكن إنكاره – في الذكور فضلاً عن الإناث. أحد التفسيرات هو أن بؤبؤ الإنسان يتوسع عندما يتعرض الفرد لشيء يحبه. على سبيل المثال، فالبؤبؤ لدى النساء والرضع (ولكن ليس الرجال) يتمدد تلقائيا عندما يرون أطفالاً. اتساع حدقة العين يعد مؤشرا صادقا للاهتمام والانجذاب. وحجم البؤبؤ يكون أسهل تحديداً في العيون الزرقاء. فأصحاب العيون الزرق يعتبرون جذابين كرفقاء محتملين لأنهم الأسهل في تحديد ما إذا كانوا مهتمين لنا أو لا.

والمفارقة هي أن أيا من أعلاه لم يعد صحيحاً لفترة أطول. فمن خلال شدّ الوجه، الشعر المستعار، شفط الدهون، جراحات تكبير الثدي، صبغ الشعر، والعدسات اللاصقة الملونة، يمكن لأي امرأة، بغض النظر عن العمر، امتلاك الكثير من السمات الرئيسية التي تحدد مثالية الجمال الأنثوي. والرجال سيعجبون بها. يمكن للرجال أن يفهموا إدراكياً أن كثيراً من النساء الشقراوات، ذوات الأثداء الكبيرة المكتنزة، لا يبلغن من العمر في الواقع ١٥ عاماً، لكنهم لا يزالون يجدونهن جذابات لأن آلياتهم المتطورة النفسية تنخدع بالاختراعات الحديثة التي لم تكن موجودة في بيئة الأسلاف.

2.البشر متعددو زوجات بشكل طبيعي

تاركين تاريخ الحضارة الغربية جانبا، فالبشر متعددو زوجات بشكل طبيعي. تعدد الأزواج (زواج امرأة واحدة بعدة من الرجال) نادر جداً، ولكن تعدد الزوجات (زواج رجل واحد بعدة من النساء) يُمارس بشكل واسع في المجتمعات البشرية، رغم أن التقاليد اليهو-مسيحية تنصّ على أن عقد الزواج الأحادي هو الشكل الطبيعي الوحيد للزواج. نحن نعرف أن البشر قد كانوا متعددي الزوجات خلال معظم تاريخهم لأن الرجال أطول من النساء.

بين أنواع الرئيسيات وغير الرئيسيات، تترابط درجة تعدد الزوجات عالياً مع الدرجة التي يكون فيها ذكور نوع ما أضخم من إناثه. فكلما كان النوع أكثر تعدداً للزوجات، كان تفاوت الحجم بين الجنسين أكبر. عادة، فإن ذكور الإنسان أطول ١٠ بالمئة وأثقل ٢٠ بالمئة من الإناث. هذا يشير إلى أنه، طوال التاريخ، كان الناس متعددي زوجات بشكل معتاد.

مقارنة بالزواج الأحادي، يخلق تعدد الزوجات مزيداً من التفاوت في اللياقة (الفارق بين "الفائزين" و "الخاسرين" في اللعبة التكاثرية) بين الذكور عنه بين الإناث، لأنه يسمح لعدد قليل من الذكور لاحتكار جميع الإناث في الجماعة. إن تفاوت اللياقة الأكبر بين الذكور يخلق ضغطاً أكبر للرجال لكي يتنافسوا مع بعضهم لأجل التزاوج. وحدهم الذكور الضخام والطوال يمكنهم أن يفوزوا بفرص التزاوج. بين الأنواع الرابطة-للزوجين مثل البشر، والتي يبقى فيها الذكور والإناث معا لتربية أطفالهم، تفضل الإناث أن تتزاوج مع الذكور الضخام والطوال لأن بإمكانهم أن يوفروا حماية جسدية أفضل ضد الحيوانات المفترسة والذكور الآخرين.

في المجتمعات التي يكون فيها الرجال الأغنياء أكثر ثراء من الرجال الفقراء، فالنساء (وأولادهن) يفضّلون تقاسم القلة الثرية من الرجال؛ نصف، وربع، أو حتى عشر من رجل ثري لا يزال أفضل من رجل فقير بكامله. كما صاغها جورج برنارد شو، "فإن غريزة الأمومة تقود المرأة إلى تفضيل حصة العشر في رجل درجة-أولى على الاستئثار برجل درجة-ثالثة". رغم حقيقة أن البشر هم بطبيعة الحال متعددو زوجات، فمعظم المجتمعات الصناعية أحادية الزواج لأن الرجال يميلون لأن يكونوا أكثر أو أقل مساواةً في مواردهم بالمقارنة مع أسلافهم في العصور الوسطى. (اللامساواة تميل للازدياد مع تقدم المجتمع في التعقيد من الصيد والقطف إلى المجتمعات الزراعية المتقدمة. والتصنيع يميل إلى خفض مستوى اللامساواة.(

3.معظم النساء يستفدن من تعدد الزوجات، في حين أن معظم الرجال يستفيدون من الزواج الأحادي

عندما يكون هناك لامساواة في الموارد بين الرجال – وهو الحال في كل مجتمع بشري – فإن معظم النساء يستفدن من تعدد الزوجات: يمكن للمرأة أن يقتسمن

رجلاً ثرياً. في إطار الزواج الأحادي، سيجدن أنفسهن عالقات في الزواج من رجل أفقر.

والاستثناءات الوحيدة هي النساء الجذابات بشدة. ففي ظل الزواج الأحادي، يمكن لهن احتكار أكثر الرجال ثراء؛ وفي ظل تعدد الزوجات، يجب أن يتقاسمن الرجال مع النساء الأخريات الأقل جاذبية. ومع ذلك، فإن الوضع هو العكس تماماً بالنسبة للرجال. فالزواج الأحادي يضمن أن كل رجل يمكن أن يجد زوجة. صحيح، والرجال الأقل جاذبية يمكن أن يتزوجوا فقط من نساء أقل جاذبية، ولكن هذا أفضل بكثير من عدم الزواج من أي شخص على الإطلاق.

يتصور الرجال في المجتمعات أحادية الزواج أنهم سيكونون أفضل حالاً في ظل تعدد الزوجات. ما لا يدركونه هو أنه، بالنسبة لمعظم الرجال الذين ليسوا جذابين للغاية، فتعدد الزوجات يعني أن لا زوجة إطلاقاً، أو، إذا كانوا محظوظين، الزوجة أقل جاذبية بكثير من التي قد يحصلون عليها في ظل الزواج الأحادي.

.4معظم الانتحاريين مسلمون

وفقا لعالم الاجتماع دييغو غامبيتا من جامعة أكسفورد، محرر كتاب "تفهّم معنى العمليات الانتحارية، " وهو تاريخ شامل لهذه الظاهرة المقلقة والموضعية: رغم أن العمليات الانتحارية ليست دائماً ذات دوافع دينية، فحين يشارك الدين، فهو دائماً الإسلام. لِمَ هذا؟ لماذا الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحفز أتباعه على ارتكاب عمليات انتحارية؟

الجواب المدهش من منظور نفسي تطوري هو أن التفجيرات الانتحارية الإسلامية قد لا يكون لها علاقة بالإسلام أو القرآن (باستثناء سطرين فيه ـ التوبة: ٥، ٢٩). فقد لا يكون لها علاقة بالدين، السياسة، الثقافة، العرق، الإثنية، اللغة، أو المنطقة. كما هو الحال مع كل شيء آخر من هذا المنظور، قد يكون لديها الكثير لتفعله مع الجنس، أو، في هذه الحالة، مع غياب الجنس.

ما يميز الإسلام عن الديانات الكبيرة الأخرى هو أنه يسمح بتعدد الزوجات. من خلال السماح لبعض الرجال باحتكار جميع النساء واستبعاد العديد من الرجال كلياً من الفرص الإنجابية، فتعدد الزوجات يخلق نقصاً في النساء المتاحات. إذا كان ٥٠ في المئة من الرجال لديهم زوجتان لكل واحد، فإن الـ٥٠ في المئة الأخرى لا يحصلون على زوجات أبداً.

فتعدد الزوجات يزيد الضغط التنافسي على الرجال، وخاصةً الشباب ذوي الوضع المتدني. فإنه بالتالي يزيد احتمال جنوح الشباب إلى الوسائل العنيفة ليتوصلوا إلى رفيقاتهم. من خلال القيام بذلك، فلديهم القليل ليخسروه والكثير ليربحوه مقارنةً مع الرجال الذين لديهم زوجات أصلاً. في كل المجتمعات، تعدد الزوجات يدفع الرجال

للعنف ، ويزيد الجرائم كالقتل والاغتصاب، حتى بعد السيطرة على عوامل مختلفة مثل التنمية الاقتصادية، والتفاوت الاقتصادي، والكثافة السكانية، ومستوى الديمقراطية، والعوامل السياسية في المنطقة.

ومع ذلك، فتعدد الزوجات في حد ذاته ليس سبباً كافياً للتفجير الانتحاري. فمجتمعات جنوب الصحراء الأفريقية والبحر الكاريبي هي متعددة الزوجات بشكل أكثر بكثير من الدول المسلمة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. ولديهم بالفعل مستويات عالية جداً من العنف. وتعاني جنوب الصحراء الأفريقية من تاريخ طويل من الحروب الأهلية المستمرة، ولكن ليس التفجيرات الانتحارية.

العنصر الرئيس الآخر هو الوعد بـ٧٢ من الحور العذارى في الجنة في انتظار أي شهيد في الإسلام. إن احتمال الوصول الخاص إلى العذارى قد لا يكون مغرياً لكل من لديه حتى رفيقة واحدة على الأرض، والذي يضمنه الزواج الأحادي الصارم عمليا. بيد أنه احتمال جذاب جداً لمن يواجه حقيقة قاتمةً على الأرض هي كونه خاسراً بشكل كامل في سباق التكاثر.

إن مزيجاً من تعدد الزوجات، ووعدٍ بحريم كبير من العذارى في الجنة هو ما يحفز العديد من الشبان المسلمين لارتكاب تفجيرات انتحارية. بالاتفاق مع هذا التفسير، فإن جميع الدراسات حول الانتحاريين تشير إلى أنهم أصغر بكثير ليس فقط من السكان المسلمين بصفة عامة، ولكن من الأعضاء الآخرين (غير الانتحاريين) لمنظماتهم السياسية المتطرفة مثل حماس وحزب الله. وكل الانتحاريين تقريبا هم عزاب.

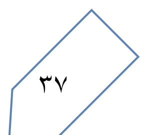
5.إنجاب الأبناء يقلل من احتمال الطلاق

اكتشف علماء الاجتماع والديموغرافيا أن الأزواج الذين لديهم ابن واحد على الأقل يواجهون مخاطر للطلاق أقل بكثير من الأزواج الذين لديهم بنات فقط. لِمَ هذا؟

بما أن القيمة التزاوجية للرجل تتحدد بشكل كبير من ثروته، ووضعه، وسلطته – في حين أنها للمرأة تتحدد بشكل كبير من شبابها وجاذبيتها الجسدية – على الأب أن يتأكد من أن ابنه سوف يرث ماله، ووضعه، وسلطته، بغض النظر عن مدى كثرة أو قلة هذه الموارد لديه. في المقابل، فهناك القليل نسبيا مما يمكن للأب (أو الأم) القيام به للحفاظ على ابنته شابةً أو جعلها أكثر جاذبية جسدياً.

لذا فإن الوجود المستمر (والاستثمار في) الأب هو مهم للابن، ولكنه ليس حاسماً بالنسبة للبنت. وبالتالي فإن وجود أبناء يمنع الطلاق ورحيل الوالد من الأسرة أكثر من وجود البنات، وهذا الأثر يميل لأن يتقوّى بين الأسر الثرية.

6.لدى الناس الوسماء مزيد من البنات



فمن المعتقد الشائع أن ما إذا كان إنجاب الآباء صبي أو فتاة هو أمر متروك للصدفة العشوائية. قريب، ولكن ليس تماما، فهو إلى حد كبير في مستوى الصدفة. فالنسبة العادية بين الجنسين عند الولادة هي ١٠٥ ذكور مقابل كل ١٠٠ أنثى. ولكن نسبة الجنس تختلف قليلا في ظروف مختلفة، وبالنسبة لأسر مختلفة. وهناك عوامل قد تؤثر بلطف على جنس النسل.

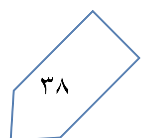
أحد أهم المبادئ المُحتفى بها في علم الأحياء التطوري، ***فرضية تريفرز-ويلارد***، تنص على أن الآباء الأثرياء ذوي المكانة العالية لديهم أبناء أكثر، بينما الآباء الفقراء ذوي المكانة المتدنية لديهم بنات أكثر. وذلك لأن الأطفال عموماً يرثون الثروة والمكانة الاجتماعية لوالديهم. وعلى مر التاريخ، يمكن أن نتوقع لأبناء العائلات الثرية الذين يصبحون أنفسهم أثرياء أن يكون لهم عدد كبير من الزوجات والخليلات والمحظيات، وينتجوا عشرات أو مئات الأطفال، في حين أن أخواتهم المساويات ثراءً يستطعن الحصول على عدة أطفال فقط. فالانتخاب الطبيعي يصمم الوالدين ليحصلوا على نسبة جنس متحيزة عند الولادة تبعاً لظروفهم الاقتصادية – أولاد أكثر إذا كانوا أثرياء، بنات أكثر إذا كانوا فقراء. (إن الآلية البيولوجية التي يحدث بها هذا ليست مفهومة حتى الآن(.

لقد تم توثيق هذه الفرضية في مختلف أنحاء العالم. فالرؤساء الأميركيين، ونواب الرؤساء، ووزراء الحكومة لديهم أبناء أكثر من البنات. رعاة الموكوغودو الفقراء في شرق أفريقيا لديهم أبناء أكثر من البنات. وسجلات رعية الكنيسة من القرنين الـ١٧ و ١٨ تبين أن ملاك الأراضي الاثرياء في ليزن، ألمانيا، كان لديهم أبناء أكثر من البنات، في حين أن العمال الزراعيين والحرفيين بلا ملكية كان لديهم بنات أكثر من الأبناء. وفي استطلاع شمل مشاركين من ٤٦ دولة، كان الأفراد الأثرياء أكثر احتمالاً للإشارة إلى تفضيل الأبناء إذا لم يكن لهم إلا طفل واحد، في حين كان الأفراد الأقل ثراء أكثر احتمالاً للإشارة إلى تفضيل البنات.

إن فرضية تريفرز-ويلارد المعممة تذهب لأبعد من ثروة العائلة ومركزها: فإذا كان الوالدان يحملان أي صفات يمكن أن ينقلاها لأطفالهما، وهي أفضل للأبناء من البنات، فسيكون لديهم المزيد من الأولاد. على العكس، إذا كان لدى الوالدين أي صفات يمكن أن ينقلاها لأطفالهما، وهي أفضل للبنات، سيكون لديهم المزيد من البنات.

إن الجاذبية الجسدية، في حين أنها صفة إيجابية على صعيد عالمي، تساهم أكثر في نجاح النساء إنجابياً منها للرجال. فيمكن للفرضية المعممة بالتالي التكهن بأن الآباء الجذابين جسدياً ينبغي أن يكون لديهم بنات أكثر من الأبناء. مرة أخرى، هذي هو الحالة. الأميركيون الذين يصنفون "جذابين جدا" لديهم فرصة ٥٦ في المئة ليكون طفلهما الأول بنتاً، مقارنة مع ٤٨ في المئة لسائر الناس.

.7ما هو مشترك بين بيل غيتس وبول مكارتني والمجرمين



لقرابة ربع قرن، عرف علماء الإجرام عن" ***منحنى العمر-الجريمة*** ".ففي كل مجتمع وفي جميع الأوقات التاريخية، كان الميل إلى ارتكاب الجرائم وسلوكيات المخاطرة الأخرى يتزايد بسرعة في مرحلة المراهقة المبكرة، ويتأوج في أواخر مرحلة المراهقة والبلوغ المبكر، ويتناقص بسرعة في جميع أنحاء الـ٢٠ـات والـ٣٠ـات، ويصبح مسطحاً في منتصف العمر.

هذا المنحنى لا يقتصر على الجريمة. فنفس الملف العمر يميز كل سلوك إنساني قابل للقياس الكمي وفي العموم (أي، ينظر إليه العديد من الأقران المحتملين) ومكلف (أي ليس في متناول جميع المنافسين الجنسيين). فالعلاقة بين العمر والإنتاجية بين موسيقيي الجاز الذكور، الرسامين الذكور، الكتاب الذكور، والعلماء الذكور – والتي يمكن أن يطلق عليها" ***منحنى العبقرية-العمر*** – "هي أساسا نفس منحنى الجريمة-العمر. فإنتاجيتهم – التعبير عن عبقريتهم – تتأوج بسرعة في بداية البلوغ، و ثم سرعان ما تتراجع بشكل متساوي طوال فترة البلوغ. إن منحنى العبقرية-العمر بين نظيراتهم الإناث هو أقل وضوحا بكثير؛ فهو لا يتأوج أو يتفاوت بشدة كدالة للعمر.

بول مكارتني لم يكتب أغنية خبطة لسنوات، وهو الآن ينفق الكثير من الوقت في الرسم. بيل غيتس هو الآن رجل أعمال محترم وفاعل خير، وليس نابغة الحاسوب اليافع. ج. د. سالينغر يعيش الآن في عزلة تامة ولم ينشر أي شيء لأكثر من ثلاثة عقود. أورسون ويلس كان بعمر ٢٦ فقط عندما كتب، أنتج، وجّه، وتألق في" ***المواطن كين***."

ثمة نظرية واحدة يمكن أن تفسر إنتاجية كل من العباقرة المبدعين والمجرمين على مدى الحياة: كل من الجريمة والعبقرية هي تعبير عن رغبات الشباب التنافسية، التي وظيفتها النهائية في بيئة الأسلاف كان من شأنها أن تزيد النجاح الإنجابي.

في المنافسة الجسدية لأجل الرفقاء، قد يقوم أولئك التنافسيون بالتصرف العنيف تجاه أندادهم الذكور. أما الرجال الأقل ميلا نحو العنف والجريمة فقد يعبرون عن تنافسيتهم من خلال الأنشطة الإبداعية.

إن تكلفة المنافسة تزداد جذريا حين يحصل الرجل على أطفال، حين توضع طاقاته وموارده لاستخدام أفضل في حمايتهم واستثمارهم. فولادة الطفل الأول عادة ما تحدث بعد البلوغ بعدة سنوات، وذلك لأن الرجال بحاجة إلى بعض الوقت لتجميع ما يكفي من الموارد وتحقيق المركز الكافي لاجتذاب رفيقتهم الأولى. ولذا فإن هناك فجوة لعدة سنوات بين الزيادة السريعة في فوائد المنافسة وبالمثل الزيادة السريعة في تكاليفها. الإنتاجية تتراجع سريعاً في أواخر البلوغ لأن تكاليف المنافسة تزداد وتلغي منافعها.

هذه الحسابات قد أجريت عن طريق الانتقاء الطبيعي والجنسي، إن صح القول، والذي يزود من ثمّ أدمغة الذكور بآلية نفسية تجعلهم أميل لأن يكونوا متنافسين بنحو متزايد بعد البلوغ مباشرة، وجعلهم أقل قدرة على المنافسة مباشرة بعد ولادة طفلهم الأول. الرجال ببساطة لا يشعرون بأنهم يتصرفون بعنف ، يسرقون، أو يجرون المزيد من التجارب العلمية، أو أنهم يريدون فقط أن يستقروا بعد ولادة طفلهم، لكنهم لا يعرفون بالضبط لماذا.

إن التشابه بين بيل غيتس وبول مكارتني والمجرمين – في الواقع، بين جميع الرجال على مر التاريخ التطوري – يؤشر لمفهوم هام في البيولوجيا التطورية :**اختيار الإناث**.

فالنساء غالبا ما يقلن لا للرجال. وكان على الرجال أن يغزوا أراضي أجنبية، يكسبوا معارك وحروباً، وينشئوا سمفونيات، ويؤلفوا كتباً، ويكتبوا سوناتات، ويطلوا أسقف كاتدرائيات، ويصنعوا اكتشافات علمية، ويعزفوا في فرق روك، ويكتبوا برمجيات حاسوب جديدة من أجل إقناع النساء بحيث يوافقن لممارسة الجنس معهم. لقد بنى الرجال الحضارة (ودمروها) من أجل إقناع النساء، بحيث يقلن لهم :**نعم**.

.8أزمة منتصف العمر هي أسطورة – نوعاً ما

يعتقد كثيرون بأن الرجال يمرون بأزمة منتصف العمر حين يكونون في عمر متوسط. ليس تماماً. فالعديد من الرجال في عمر متوسط يمرون فعلاً في أزمات منتصف العمر، ولكن ليس لأنهم في منتصف العمر. بل لأن زوجاتهم. فمن المنظور النفسي التطوري، أزمة منتصف العمر للرجل تندفع بسبب الإياس (انقطاع الطمث) الوشيك لدى زوجته ونهاية سيرتها الإنجابية، وبالتالي حاجته المتجددة لجذب النساء الأيفع. تبعا لذلك، فرجل عمره ٥٠ عاما متزوج من امرأة عمرها ٢٥ عاما لن يمر بأزمة منتصف العمر، حين أن رجلاً عمره ٢٥ عاما متزوج من امرأة عمرها ٥٠ عاما سيفعل، وتماماً مثل رجل نموذجي عمره ٥٠ عاما متزوج من امرأة عمرها ٥٠ عاما. إنه ليس منتصف العمر تبعه ما يهم؛ إنه تبعها. فعندما يشتري سيارة رياضية حمراء لامعة، فإنه لا يحاول أن يسترد شبابه، بل يحاول اجتذاب النساء الشابات ليحللن محل زوجته الإياسية من خلال استعراض ماله وجماله.

.9من الطبيعي للسياسيين أن يخاطروا بكل شيء من أجل العلاقة (ولكن فقط إذا كانوا ذكورا)

في صباح يوم ٢١ يناير ١٩٩٨، حين استيقظ الأميركيون على الادعاء المذهل أن الرئيس بيل كلينتون كان على علاقة مع موظفة عمرها ٢٤ عاما في البيت الأبيض، فكّرت المؤرخة الداروينية لورا ل. بيتزغ، "لقد قلت لكم ذلك. " تشير بيتزغ إلى أنه في حين أن الرجال الأقوياء خلال التاريخ الغربي قد تزوجوا بشكل أحادي (زوجة

واحدة قانونية فقط في كل مرة)، كان لديهم دائما رفيقات عديدات (عشيقات، محظيات وإماء). مع زوجاتهم، أنتجوا ورثة شرعيين؛ ومع الأخريات، أنتجوا نغولاً. ولكن الجينات لا تميز بين هاتين الفئتين من الأطفال.

نتيجة لذلك، حقق الرجال الأقوياء في مكانات عالية على مدى تاريخ البشرية نجاحا إنجابيا عاليا جدا، وتركوا عددا كبيرا من الذرية (الشرعية وغير ذلك)، في حين أن عددا لا يحصى من الرجال الفقراء ماتوا بلا أزواج أو أطفال. فمولاي إسماعيل السفاح، السلطان الشريفي الأخير في المغرب، يبرز من ناحية كمية، لأنه خلف أكثر ذرية – ١,٠٤٢ – من أي شخص آخر على الإطلاق، لكنه لم يختلف نوعياً بأي حال عن سائر الرجال الأقوياء، مثل بيل كلينتون.

السؤال الذي طرحه كثيرون في ١٩٩٨ – "لماذا على وجه الأرض يقوم أقوى رجل في العالم بمخاطرة وظيفته لأجل علاقة مع امرأة شابة؟"، هو، من وجهة النظر الداروينية، سؤال سخيف.كان جواب بيتزغ سيكون: "لِمَ لا؟" فالرجال يناضلون لنيل السلطة السياسية، بوعي أو بغير وعي، من أجل التوصل الإنجابي لعدد أكبر من النساء. إن التوصل الإنجابي إلى النساء هو الهدف، ولكن الموقع السياسي ليس سوى وسيلة. أن نسأل لماذا سيقوم رئيس الولايات المتحدة بلقاء جنسي مع امرأة شابة هو مثل أن نسأل لماذا عمل شخص ما بجد لكسب مبلغ كبير من المال ليقوم بإنفاقه من ثمّ.

ما يميز بيل كلينتون ليس أنه أقام علاقة خارج الزواج وهو في المنصب – فآخرون يفعلون، وغيرهم سيفعل؛ وسيكون لغزا داروينيا إن لم يفعلوا – ما يميزه هو حقيقة أنه ألقي القبض عليه.

10.الرجال يتحرشون جنسيا بالنساء لأنهم غير متحيزين جنسيا

إحدى النتائج المؤسفة لتزايد عدد النساء المنضمات إلى القوى العملة وعملهن جنبا لجنب مع الرجال، هي تزايد عدد حالات التحرش الجنسي. لماذا يجب أن يكون التحرش الجنسي نتيجة ضرورية للتكامل الجنسي في مكان العمل؟

يحدد النفساني كنغسلي ر. براون نوعين من حالات التحرش الجنسي: المعاوضة ("يجب أن تنامي معي إذا كنت تريدين الإبقاء على عملك أو الترقية") و "البيئة المعادية" (مكان العمل يعدّ أيضا من أجل الاستغلال الجنسي ليشعر العاملون بالأمان والراحة). في حين أن النسويات وعلماء الاجتماع يميلون إلى تفسير التحرش الجنسي من خلال "السلطة الأبوية" وغيرها من الأيديولوجيات، يحدد براون الهدف النهائي لكلا نوعي التحرش الجنسي عن طريق الفروق بين الجنسين في خطط التزاوج.

تثبت الدراسات بشكل قاطع أن الرجال أكثر اهتماما في الجنس العارض قصير الأمد من النساء. في دراسة تعد الآن كلاسيّة، ٧٥ في المئة من الرجال الجامعيين الذين اقتربت منهم أنثى غريبة جذابة وافقوا على ممارسة الجنس معها؛ وأي من النساء اللاتي اقترب منهن رجل غريب جذاب لم توافق. وكثير من الرجال الذين لم يواعدوا تلك الغريبة وافقوا مع ذلك على ممارسة الجنس معها.

إن صنف المعاوضة في التحرش هو مظهر لرغبة الرجال الأكبر في الجنس العارض قصير الأمد، واستعدادهم لاستخدام أي وسيلة متاحة لتحقيق هذا الهدف. غالبا ما تدعي النسويات أن التحرش الجنسي هو "ليس حول الجنس بل حول السلطة؛ أما براون فيدعي أنه كلاهما – فالرجال يستخدمون السلطة ليحصلوا على الجنس. ويضيف "القول أنه فقط حول السلطة لا معنى له أكثر من القول أن السطو على مصرف هو فقط لأجل البنادق، وليس لأجل المال."

أما حالات التحرش الجنسي من نوع "البيئة المعادية" فتنتج عن الاختلافات الجنسية بين ما يعتبره الرجال والنساء سلوكا "جنسيا مبالغا" أو "معاديا". وكثير من النساء يشتكين قانونيا من أنهن قد تعرضن للإساءة، الترهيب، والمعاملة المهينة من قبل زملائهن الذكور. يشير براون إلى أنه قبل وقت طويل من دخول النساء في القوى العاملة، كان الرجال يعرّضون بعضهم بعضا لمثل هذه المعاملة السيئة، الترهيب، والإهانة.

إن إساءة المعاملة، التخويف، والتحقير هي جزء من ذخيرة كل الرجال من الأساليب المستخدمة في المواقف التنافسية. بعبارة أخرى، فإن الرجال لا يعاملون النساء بطريقة مختلفة عن الرجال – وهو تعريف التمييز، الذي يقع ضمنه التحرش الجنسي قانونياً – بل على العكس: الرجال يضايقون النساء تحديداً لأنهم لا يميزون بين الرجل والمرأة.

العلوم الاجتماعية هي فروع من البيولوجيا

(1)

البيولوجيا (علم الأحياء) هي دراسة جميع الكائنات الحية، سلوكها ونظمها الاجتماعية. والبشر هم كائنات حية. لذا، فالعلوم الاجتماعية (دراسة سلوك البشر ونظمهم الاجتماعية) تقع ضمن اختصاص علم الأحياء. العلوم الاجتماعية فروع من علم الأحياء، وجميع النظريات الاجتماعية العلمية حول السلوك البشري يجب أن تكون متسقة مع المبادئ والقوانين المثبتة في البيولوجيا.

ومع ذلك، فمعظم العلماء الاجتماعيين قد يعترضون على هذا الاحتواء للعلوم الاجتماعية تحت البيولوجيا، ويدّعون بأن فرادة uniqueness الجنس البشري تتطلب علماً منفصلاً. بل يدعي البعض أن هذا التفرد يجعل البشر مستقلين ومحصنين ضد قوانين ومبادئ البيولوجيا؛ فعلم الأحياء ليس مهماً للسلوك البشري. وفقا لدراسةٍ عام ١٩٩٦، من ١٦٨ عالم اجتماع شملهم الاستطلاع نسبوا فقط ٤.٧٪ في المتوسط من الفروق بين الجنسين في الاهتمامات المهنية، و ١٥.٣٪ من الفروق بين الجنسين في الإجرام العدواني ، إلى عوامل بيولوجية (وراثية، قبل-ولادية، وبعد-ولادية غير اجتماعية). لذا فإن اجتماعياً نموذجياً يعتقد بأن ما يقرب من ٨٥٪ من التباين في الفروق بين الجنسين في أعمال العنف والعدوان تفسّره عوامل اجتماعية وثقافية بحتة مثل التنشئة الاجتماعية للجنسين. قبل سنوات عديدة، كنت عالم اجتماع كهذا.

ما من شك في أن البشر فريدون. ولكن، كما يشير الاجتما-حيوي sociobiologistالعظيم "بيير فان دين بيرغ"، فالبشر ليسوا فريدين في فرادتهم. فكل نوع فريدٌ من نوعه. إذ لو لم يكن، لما كان نوعاً منفصلاً. إن كانت فرادة النوع تتطلب منهجاً علمياً منفصلاً، فيتعين إذن أن تكون هناك تخصصات علمية بعدد الأنواع (كعلم الكلب، علم القط، علم الزرافة، الخ). في الواقع، البيولوجيا تغطي جميع الأنواع في الطبيعة، ***ما عدا*** البشر، أو هكذا تقول الحكمة التقليدية في العلوم الاجتماعية.

إن الادعاء بأن العلوم الاجتماعية ليست جزءا من علم الأحياء، ولإقامة علم منفصل وغير متوافق لأجل البشر فقط، هو غريب وغير ضروري بقدر إنشاء علم الهيدروجين، لدراسة الهيدروجين بغض النظر وبالتعارض مع الفيزياء. ومع ذلك، فإن فكرة علم الهيدروجين المنفصل عن الفيزياء منطقية بقدر فكرة أن العلوم الاجتماعية منفصلة عن علم الأحياء. فالهيدروجين عنصر فريد جداً: إنه العنصر الأكثر وفرة في الكون؛ وهو أخف وأبسط عنصر؛ بل هو العنصر الوحيد الذي لا تحتوي نواته على نيوترونات؛ ولديه أقل عدد من النظائر في الطبيعة؛ لديه نقطة غليان وانصهار منخفضة للغاية؛ جزيء الهيدروجين هو أبسط جزيء؛ ولديه سرعة أعلى من أي غاز آخر في أي درجة حرارة معينة، وبالتالي فهو ينتشر أسرع من أي غاز آخر... والقائمة تطول.

مع ذلك، فمن غير الضروري تماماً إقامة علم هيدروجين مكرس فقط لدراسة فيزياء الهيدروجين، لأن الفيزياء تبني القوانين والمبادئ العامة التي تنطبق على جميع العناصر، بما في ذلك الهيدروجين. فقانون بويل وقانون أفوجادرو ينطبقان على الهيدروجين كما على كل الغازات الأخرى رغم فرادتها. والفيزياء كعلم تقدمت كما نراها لأنها لا تصنع استثناءات، بل تصوغ القوانين والمبادئ العامة التي تنطبق على جميع العناصر، وليس قوانين محددة لكل عنصر.

بطبيعة الحال، فالفيزيائيون، كغيرهم من العلماء، يتخصصون في أنواع معينة من المادة؛ بعضهم فيزيائيو دقائق أولية، وآخرون فيزيائيو مادة مكثفة. فليس هناك أي حرج في تخصص بعض العلماء في السلوك البشري. في الكيمياء، البعض يتخصص في دراسة مركبات الكربون، ولكن لا شيء في "علم الكربون" (الكيمياء العضوية) يتنافى والمبادئ العامة للكيمياء. أنا لا أدعو للقضاء على العلوم الاجتماعية، بل فقط احتوائها كـ"بيولوجيا الانسان". في كتابه لعام ١٩٩٨ "المواءمة Consilience"، يدعو عالم الحشرات في هارفارد "إدوارد أو. ويلسون" بشمولية وتأكيد إلى توحيد، أو مواءمة، جميع العلوم والدراسات الإنسانية (كالفنون، الأدب، الموسيقى، والأخلاق)، مسترشدة بمبادئ علم الأحياء التطوري. المواءمة هي ما نحتاج إليه من أجل احتواء العلوم الاجتماعية تحت علم الأحياء.

معظم العلماء الاجتماعيين لا يرون كيف يمكن لقوانين الأحياء نفسها أن تنطبق للبشر كما لجميع الأنواع الأخرى. على سبيل المثال، معظم الاجتماعيين يدعون أنه رغم أن لكل الأنواع الأخرى في الطبيعة طبيعة فطرية خاصة بالنوع، تحدد كيف يتصرف أعضاء ذلك النوع، فالبشر استثناء من هذه القاعدة وليس لهم أي طبيعة فطرية. يدعون أن البشر يولدون "ألواحاً فارغة" وكل سلوكهم تحدده التنشئة الاجتماعية والعوامل البيئية الأخرى. معظم علماء الاجتماع لا يرون كيف أن استثنائية الإنسان هذه – أي ميلهم إلى صياغة نظريات محددة للبشر فقط – قد أعاقت تطور العلوم الاجتماعية. سيحتاج الأمر لإيمان هائل بالخلق الكتابي

Biblical Creationلكي يعتقدوا بأن البشر هم، إلى حد ما، النوع الوحيد المعفى من قوانين البيولوجيا التي تتخلل سائر الطبيعة.

إن علم الهيدروجين بمعزل عن الفيزياء ليس ضرورياً، لأن الهيدروجين رغم فرادته، مختلف كمياً فقط، لا نوعياً، عن العناصر الأخرى. الهيدروجين هو عنصر مميز عن الهليوم، ولكن الهليوم ليس سوى الهيدروجين مضافاً له زوج من البروتون والإلكترون. الليثيوم، مع اختلافه عن الهيدروجين والهيليوم، ليس سوى الهيليوم مضافاً له زوج من البروتون والإلكترون. جميع العناصر متشابهة، إلا في عدد البروتونات والالكترونات التي تحتويها؛ كافة الخصائص الفريدة لمختلف العناصر مستمدة من ذلك. هذا هو السبب في أن نفس قوانين ومبادئ الفيزياء تنطبق على جميع العناصر، بغض النظر عن طبائعها الفريدة.

الشيء نفسه ينطبق على الكائنات البيولوجية. فالبشر نوع مختلف عن الشمبانزي، ولكن الشمبانزي ليس سوى بشر مع بضع نقاط مئوية قد تغيرت في الجينوم، والغوريلا لها نقاط مئوية أكثر بقليل. جميع أنواع الحيوانات متشابهة، باستثناء الجينات المحتواة في جينوم كل منها. جميع قوانين ومبادئ البيولوجيا تنطبق على البشر كما على جميع أنواع الحيوانات الأخرى. إن الاختزالية reductionism في البيولوجيا (تصنيف جميع الكائنات البيولوجية من حيث تركيبها الوراثي، وشرح سلوكها ونظمها الاجتماعية بنفس مجموعة المبادئ في علم الأحياء التطوري)، والعمومية (لا يتم منح استثناءات لأي نوع) تسمحان لها أن تنطبق على جميع الأنواع. فالاختزالية والعمومية هما مبادئ هامة في العلم.

في إدراجي المقبل، سأشرح لماذا، خلافاً لما يعتقده معظم الاجتماعيين، جميع العلوم الجيدة اختزالية، وكل السلوك البشري يجب أن يفسر على مستوى الجينات (والجزيئات والذرات والدقائق).

(٢)



خلافاً للاعتقاد الشائع (وما يفكر فيه معظم العلماء الاجتماعيين)، فجميع العلوم الجيدة اختزالية. عالم فيزياء الدقائق والحائز على نوبل (وأحد أبطالي الفكريين) ستيفن واينبرغ يشرحها بشكل أفضل، حيث يقول "إن الرؤية الاختزالية للعالم مثيرة للمشاعر وغير شخصية. لا بد من تقبلها كما هي، ليس لأننا نحبها، ولكن لأنها هي الطريقة التي يعمل بها العالم."

ولكن لِمَ هذا؟ لماذا الرؤية الاختزالية هي الطريقة التي يعمل بها العالم؟ الأمر في غاية البساطة. في الطبيعة، ***الأشياء الأكبر مصنوعة من أشياء أصغر*** والأشياء الأصغر ليست مصنوعة من أشياء أكبر. حتى الظواهر على مستوى أعلى من التجمّع ("الأشياء الأكبر") يجب أن توضّح بآليات سببية تعمل على مستوى أدنى من التجمّع ("الأشياء الأصغر"). البشر مكونون من جينات وخلايا وبروتينات. والجينات والخلايا والبروتينات ليست مصنوعة من البشر. فعلى السلوك البشري (الظواهر على مستوى البشر) أن يفسر بواسطة آليات تعمل على مستوى الجينات، الخلايا، والبروتينات. بالطبع، لا بد من شرح سلوك الجينات، الخلايا، والبروتينات على مستوى الجزيئات والعناصر، وفي نهاية المطاف، الدقائق الأولية، وربما الأوتار المهتزة. تماماً كالسلاحف، فالاختزالية تقطع الطريق بطوله (ولكن، خلافاً للسلاحف، فهي تتوقف عند المكون الأساس في الطبيعة، التي اعتُقد سابقاً أنه الذرة ويُعتقد حالياً أنه الوتر المهتز).

ومن المهم أن نشير، مع ذلك، إلى أن الاختزال لا يعني أن الفيزياء، الأكثر الأساسية من كل العلوم، يمكن أن تفسر كل شيء في الطبيعة من تلقاء نفسها. فالظواهر المتكونة على مستوى أعلى تتطلب قوانين منفصلة، بالإضافة إلى المزيد من القوانين الأساسية، ليتم تفسيرها. بعبارة أخرى، فالاختزالية لا تعني أننا نستطيع الاستغناء العلوم ذات المستوى الأعلى، والأساسية الأقل، كالعلوم الاجتماعية. ومرة أخرى، واينبرغ يفسر ذلك تماماً في كتابه عام ١٩٩٢ "أحلام بنظرية نهائية:"

"أعتقد أن هناك حساً يمكن به تفسير كل شيء وفق قوانين الطبيعة وأن قوانين الطبيعة هي ما يحاول الفيزيائيون اكتشافه. ***ولكن التفسير هو تفسير من حيث المبدأ بحيث لا يهدد بأي شكل استقلالية العلوم الأخرى. ونحن نرى هذا حتى ضمن الفيزياء نفسها***. فدراسة الميكانيكا الإحصائية، أي سلوك عدد كبير من الدقائق، وتطبيقاتها في دراسة المادة عموماً، كالمادة المكثفة، البلورات، والسوائل، هي علم مستقل لأنك حين تتعامل مع أعداد كبيرة جدا من الدقائق، تبرز ظواهر جديدة. لنأخذ مثالاً استخدمته في كل مكان، حتى لو حاولت التوجه الاختزالي ورسمت حركة كل جزيء في كوب من الماء باستخدام معادلات الفيزياء الجزيئية لمتابعة كيف ذهب كل جزيء، في أي مكان في خضمّ شريط الحاسوب الذي أنتجه لن تجد الأشياء التي تهمك بشأن الماء، كالاضطرابات، أو درجة الحرارة، أو الإنتروبيا. كل علم يتعامل مع الطبيعة وفقا لشروطه لأن كل علوم يجد شيئا آخر في الطبيعة يثير الاهتمام. ومع ذلك، ثمّة شعور بأن مبادئ الميكانيكا الإحصائية هي ما هي عليه بسبب خصائص الجسيمات التي تتكون منها الأجسام. ***فالميكانيكا الإحصائية لا تمتلك المبادئ التي تقف وحدها والتي لا يمكن استنتاجها من مستوى أعمق***".

وبالمثل، لا يمكن لقوانين الأحياء التطورية وحده أن يفسر لماذا يصبح بعض الرجال ممتهنين للإجرام في حين أن آخرين يصبحون مواطنين ملتزمين بالقانون، أو لماذا بعض الزيجات تدوم إلى الأبد والبعض الآخر ينتهي بالطلاق، ناهيك عن أسباب الحروب والثورات وحدوث الركود الاقتصادي. من أجل توضيح هذه الظواهر الناشئة كلية-المستوىmacrolevel ، يحتاج المرء لقوانين علم الاجتماع، العلوم السياسية، والاقتصاد. ومع ذلك، فهذه القوانين الإضافية من العلوم الاجتماعية لا يمكن أن تتعارض مع قوانين أكثر عمقاً في الأحياء التطورية.

فعلى سبيل المثال، إن نظرية متكاملة كل-اجتماعية للثورات لا يمكن أن تحتوي على افتراض ينصّ على أن البشر الفاعلين يقيمون بالتساوي رفاهية نسلهم الوراثي مع نسل شخص آخر، أو أن الرجل والمرأة لديهما استعداد متساوي للانخراط في العنف الجسدي. بعبارة أخرى، فالعلوم الاجتماعية للبيولوجيا التطورية هي ما الميكانيكا الإحصائية لفيزياء الدقائق الأولية في اقتباس واينبرغ أعلاه. معيدين عبارة واينبرغ، فالعلوم الاجتماعية لا تملك المبادئ التي تقف وحدها ولا يمكن استنتاجها من مستوى أعمق.



ليدا كوسميدس وجون تووبي، وهما من أسّسا علم النفس التطوري، يذكراننا بأنه قبل غاليليو ونيوتن، كان العلم السماوي (حول حركات الأجرام السماوية)، والعلم الأرضي (حول حركات الأشياء على الأرض) ينظر إليها كعلوم منفصلة، تحكمها مجموعات منفصلة من القوانين والمبادئ. لقد كانت خطوة كبيرة إلى الأمام في تاريخ العلوم أن كُسر الجدار الفاصل بينهما، كما فعل غاليليو ونيوتن، وأن اعتُرف بأن نفس المجموعة من القوانين والمبادئ تنطبق على كل الأجسام السماوية والأرضية.

هذه، لسوء الحظ، هي الحالة المؤسفة للعلوم الاجتماعية اليوم. فالعلوم الاجتماعية في القرن الـ٢١ هي في مكان العلوم الفيزيائية في القرن الـ١٧. والعلماء الاجتماعيون يعتقدون بالفصل الصارم بين علوم الإنسان (الاجتماعية) حول سلوك النوع الإنساني، وبين علوم غير الإنسان (البيولوجيا) حول سلوك سائر الأنواع في الطبيعة. وستكون خطوة كبيرة إلى الأمام في تاريخ العلوم أن يُكسر الجدار الفاصل بينهما أيضاً، وأن تضمّ العلوم الاجتماعية تحت البيلوجيا.

أختم هذا الإدراج باقتباس آخر مفضل لدي من واينبرغ.

"السبب في إعطائنا الانطباع بأن فيزياء الدقائق الأولية هي أكثر أساسية من سائر فروع الفيزياء هو أنها كذلك".

والسبب في إعطائنا الانطباع بأن علم النفس التطوري هو أكثر أساسية من سائر فروع العلوم الاجتماعية والسلوكية هو أنه كذلك.

باربي .. صنعتها "ماتيل"، ولكن صممها التطور ١-٩

١- لماذا يحب الرجال الشقراوات المتفجرات (ولماذا تريد النساء أن يبدون مثلهن)؟



ثمة معتقد شائع لدى علماء الاجتماع والجمهور العادي سوية، أن وسائل الإعلام تفرض صوراً تعسفية للجمال الأنثوي المثالي على الفتيات والنساء في مجتمعنا، وتجبرهم على التطلع إلى هذه المعايير المصطنعة والتعسفية. *وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة.*

وفقا لهذا الزعم، فالفتيات والنساء يردن أن يبدون وكأنهن عارضات فائقات أو ممثلات أو رموز بوب لأنهن يقصفن بشدة بصور لهاتيك النساء. ضمنياً، ووفقاً لهذه النظرة، فإن الفتيات والنساء يتوقفن عن إرادة الظهور مثلهن فيما لو توقفت وسائل الإعلام عن إغراقهن بمثل هذه الصور، أو قامت بتغيير المعايير التعسفية لجمال الأنثى. وقد تعزز هذا الرأي، ضمن أشياء أخرى، على يد العارضة السابقة – المتحولة لناشطة اجتماعية نسوية – "جان كيلبورن" في سلسلة أفلامها الوثائقية "**قَتْلُنا بهدوء.**"

كما يبدو، فإن كيلبورن وغيرها من النسويات يعتقدن بأن الفتيات والنساء هن آليات بلا عقول، قد يفعلن ويعتقدن بأي شيء يقوله لهن وكلاء الدعاية. إن الادعاء بأن الفتاة والمرأة تريد أن تبدو وكأنها شقراء متفجرة بسبب لوحات الإعلان، الأفلام، برامج التلفاز، قصاصات الفيديو، وإعلانات المجلات، يملك من اللامنطقية أقل من الادعاء بأن الناس يصبحون جائعين لأنهم يقصفون بصور للأغذية في الوسائط media. إذا لو توقفت وسائل الإعلام عن إغراق الناس بصور للأغذية، فإنهم لن يجوعوا أبداً!

يمكن لأي شخص أن يرى عبثية هذه الحجة. فنحن نجوع دورياً لأن لدينا آليات فسلجية ونفسية تفرض علينا أن نسعى وراء الأغذية ونستهلكها. ونحن نملك هذه الآليات الفطرية لأنها تحل مشكلة هامة على التكيف لأجل البقاء. فأسلافنا (طويلاً

قبل أن يكونوا بشراً أو حتى ثدييات) من لم يصبح منهم إلى حد ما جائعاً للغذاء، لن يعيش طويلاً بما يكفي ليترك ذرية يحملون جيناته. ونحن بطبيعة الحال نجوع بنفس القدر لو أن كل الإعلانات عن الطعام اختفت اليوم.فالإعلانات هي عواقب ميلنا للجوع، لا أسباب له؛ إذ هي تستغل حاجاتنا الفطرية للغذاء ولا تخلقها.

وينطبق الشيء نفسه مع المثل الأعلى للجمال الأنثوي. فقطعتان من الأدلة يفترض أن تكفي لدحض الادعاء بأن الصور في الوسائط، و "الثقافة" بشكل عام، تفرض على الفتيات والنساء الرغبة ليبدون وكأنهن شقراوات متفجرات. أولاً، كانت النساء يصبغن شعرهن أشقر لأكثر من نصف ألفية، وربما ألفيتين مضيتا، عندما لم يكن هناك تلفاز، سينما، أو مجلات (على الرغم من وجود صور، ونحن ندين لهذه اللوحات بأننا نعرف اليوم أن النساء يصبغن شعرهن أشقر في إيطاليا القرن الـ١٥ والـ١٦). فرغبة المرأة في أن تكون شقراء سبقت الوسائط بمئات، إن لم تكن آلاف السنين.



وثانياً، أظهرت دراسة حديثة أن النساء في إيران، حيث لا يتعرضن عادة للوسائط والثقافة الغربية، وبالتالي فهن لا يعرفن جيسيكا سمبسون من روزان بار، ومعظم النساء يرتدين الحجاب التقليدي الفضفاض الذي يغطي الجسم كله بحيث يجعل من المستحيل معرفة أي شكل وراءه، هن في الواقع أكثر اهتماما لصورة أجسادهن، ويردن أن يفقدن وزناً أكبر من نظيراتهن الأمريكيات في أرض ڤوغ ودمية باربي. العلوم الاجتماعية التقليدية، والتي تنسب تفضيلات ورغبات النساء كلياً للتنشئة الاجتماعية من قبل الوسائط، قد تجد صعوبة في تفسير كيف يمكن للإيطاليات في القرن الـ١٥ والإيرانيات اليوم أن تطمح ويسعين لتحقيق نفس الصورة المثالية للجمال الأنثوي كما تفعل النساء في المجتمعات الغربية المعاصرة.

فلماذا إذن تريد النساء أن يبدون كشقراوات متفجرات؟ يقترح علم النفس التطوري أن ذلك لأن الرجال يريدون التزاوج مع النساء اللاتي يبدون مثلهن، ورغبة المرأة لتبدو مثلهن هي استجابة مباشرة واقعية ومعقولة لهذه الرغبة من الرجال. وهذا يؤدي ببساطة لسؤال آخر: لماذا يريد الرجال التزاوج مع النساء اللاتي يبدون

مثلهن؟ ذلك لأن المرأة التي تبدو مثلهن تملك قيمة إنجابية أعلى والخصوبة وتحقق نجاحاً إنجابياً أعلى من المتوسط. لا يوجد شيء تعسفي عن الصورة المثالية للجمال الأنثوي، بل هو محسوب بدقة وبعناية خلال ملايين السنين من التطور بالانتقاء الجنسي. اليوم يريد الرجال أن يتزاوجوا مع النساء اللاتي يبدون كشقراوات متفجرات، ونتيجة لذلك، تريد النساء أن يبدون مثلهن، وذلك لأن أسلافنا الرجال الذين لم يرغبوا بالتزاوج مع النساء اللاتي يبدون مثلهن لم يتركوا ذرية كثيرة كأولئك الذين فعلوا.

لنلقي نظرة فاحصة على ما أعنيه بالضبط بـ"شقراوات متفجرات". لاحظوا أولاً أن هناك سلسلة طويلة من الشقراوات المتفجرات في الوسائط الغربية: باميلا أندرسون، جوردان، مادونا، بريجيت باردو، جين مانسفيلد، رجوعاً إلى الأيقونة ماريلين مونرو وحتى أبعد من ذلك في التاريخ. ولدينا عديد من الأمثلة المعاصرة أيضاً : جيسيكا سمبسون، كاميرون دياز، سكارليت جوهانسون، بين أخريات. يمكن للقراء من المجتمعات غير الغربية اقتراح بديل مناسب لممثلات الجمال الأنثوي من ثقافاتهم. أنا لا أعرف من هن، ولكنني قادر مع ذلك أن أكون على ثقة من أنهن يشتركن بالعديد من الميزات مع نظيراتهن الغربيات.

ما هي هذه الميزات؟ في الإدراجات القادمة، سوف نعزل ونناقش بالدور هذه السمات الرئيسية التي تحدد صورة الجمال الأنثوي المثالي. وهي: الشباب، الشعر الطويل، الخصر النحيل، النهد الكبير، الشعر الأشقر، العيون الزرق، والعيون الكبيرة. هناك منطق تطوري وراء كل منها.

(2)الشباب



إحدى الخصائص الرئيسية للجمال الأنثوي المثالي هو الشباب. لماذا يفضل الرجال التزاوج مع فتيات شابات؟

الرجال يفضلون النساء الشابات لأن لديهن قيمة إنجابية أكبر وخصوبة أكثر من النساء الأسنّ. والقيمة الإنجابية للمرأة هي العدد المتوقع للأطفال الذين يمكن أن تلدهم في ما تبقى من مسيرتها الإنجابية، لذا فقيمتها الأقصى تكون في بداية الحيض، وتتراجع بثبات خلال مسار حياتها، وتصل إلى صفر في سن اليأس. والخصوبة هي متوسط عدد الأطفال لديها بالفعل في أي سن معينة، والذي يصل لحده الأقصى في عشريناتها. يشير المنطق النفسي التطوري إلى أن هذا هو السبب في انجذاب الرجال إلى الفتيات المراهقات والنساء الشابات، على الرغم من قوانين المجتمع المتحضر بشأن سن التمييز. تذكر، لم تكن ثمة قوانين ضد الاغتصاب الجنائي في بيئة الأسلاف؛ في الواقع، لم تكن ثمة قوانين على الإطلاق. ومبدأ السافانا، الذي ينص على أن الدماغ البشري لديه صعوبة في الفهم والتعامل مع الكيانات والحالات التي لم تكن موجودة في بيئة الأسلاف، يشير إلى أن العقل البشري لا يمكنه حقا أن يفهم القوانين المكتوبة، بما في ذلك القوانين المتعلقة بسن التمييز.

على سبيل المثال، فمدرسو الثانويات وأساتذة الجامعات في الولايات المتحدة (ولكن ليس زميلاتهم) لديهم معدل أعلى من المتوقع للطلاق وأقل من المتوقع للزواج من جديد، ربما لأنهم يتعرضون باستمرار لفتيات ونساء في ذروة قيمتهن الإنجابية. فأي امرأة بالغة قد يتزوجون أو يواعدون تتضاءل بالمقارنة مع طالبات إناث في شرخهنّ الإنجابي. ويمكن أن يفسر أيضاً السبب في أن معظم الزيجات في هوليوود لا تستمر طويلاً جداً. فالممثلون يتعرضون باستمرار ويترابطون بشكل وثيق مع أجيال أيفع وأيفع من النجيمات، في حين أن زوجاتهم الممثلات-الموديلات فقط يكبرن في السن.



وفي هذا الصدد، لدينا استطراد سير-ذاتي صغير، يدعم وجهة نظري مع ذلك حول أهمية الشباب في جمال الأنثى المثالية. عندما بدأنا، آلان س. ميلر وأنا، بكتابة الكتاب "لماذا لدى الناس الوسماء بنات أكثر" عام ٢٠٠٠، اخترنا باميلا أندرسون كمثل الأعلى للجمال الأنثوي، دمية باربي البشرية،

وسمينا الفرع ذي الصلة من الكتاب "لماذا الرجال تعجبهم باميلا أندرسون (ولماذا تريد النساء أن يبدون مثلها)؟"ومع مر السنين، لم تعد تتلاءم مع اللائحة. فمسلسل "باي ووتش" انتهى بثه عام ٢٠٠١، وباميلا أندرسون وصلت الـ٤٠ عام ٢٠٠٧. لذلك اخترنا بعد ذلك أن تحل محلها بريتني سبيرز، التي كانت آنذاك صورة كاملة للأميرة العذرية الصالحة للزواج. حسناً، تعرفون ما حدث لها مؤخرا. المرشح التالي، رجاءً!

كما سعينا مرة أخرى لإبدال بريتني سبيرز بصورة أخرى للجمال الأنثوي المثالي، اتضح لنا في نهاية المطاف أنه، بغض النظر عمن اخترنا استخدامها، فإنها ستكون عتيقة الطراز قريباً نظراً للأهمية الكبيرة الموضوعة على الشباب من أجل الجمال الأنثوي المثالي. فلو كتبنا كتابنا قبل ٣٠ عاما، لكان المقطع بعنوان "لماذا يحب الرجال فرح فاوست-ميجرز، (ولماذا تريد النساء أن يبدون مثلها)؟" (لكن علم النفس التطوري لم يكن موجوداً منذ ٣٠ عاماً، ولن يكون لدينا شيء لنكتبة عن ذلك في كتابنا!). كان من شأن ذلك أن يجعل من الكتاب عتيقاً بالفعل الآن، إذ فرح فاوست وصلت الـ٦٠ عام ٢٠٠٧. بما أننا كنا نريد أن يُقرأ كتابنا لفترة طويلة ولا يُنظر إليه أبداً كشيء عتيق، قررنا أخيرا عدم استخدام مثال فعلي لشقراء متفجرة.

(٣)-الشعر الطويل



الرجال عموماً يفضلون النساء بشعر طويل. ومعظم النساء الشابات يخترن إطالة شعرهن. ومرة أخرى، تفضيل الرجال للنساء بشعر طويل هو السبب وراء تفضيل النساء لإطالة شعرهن. السؤال هو إذن: لماذا يفضل الرجال النساء ذوات الشعر الطويل؟

لأن الجنين البشري ينمو داخل جسم المرأة لتسعة أشهر، ومن ثم ترعى الأم وليدها الجديد لبضع سنوات لاحقة، فصحة المرأة أمر حاسم بالنسبة لرفاه الطفل. النساء المريضات لا يصنعن أمهات جيدات، بدرجة أكبر بكثير من أن الرجال المرضى لا يصنعون آباء جيدين. لذا، فالرجال يهتمون باختيار النساء الصحيحات ليكنّ أمهات لأطفالهم. جزء من السبب يعود لأن الرجال يفضلون النساء الشابات، وإلى جانب ارتفاع قيمتهن الإنجابية وخصوبتهن (كما نوقش في إدراجي السابق)، فالنساء الأصغر سنا غالبا ماً يكنّ أصحّ في المتوسط من النساء الأكبر.

كيف يمكن للرجال تقييم صحة قريناتهم المحتملات؟ لم تكن ثمة عيادات في بيئة الأسلاف؛ وكان الأسلاف الرجال يحكمون على صحة المرأة بأنفسهم. مؤشر دقيق على الصحة البدنية هو الجاذبية، وهذا هو السبب في أن الرجال يحبون النساء الجميلات، كما ذكرت في إدراجي السابق. ومؤشر آخر جيد على الصحة هو الشعر. فللأشخاص الأصحاء (رجالاً ونساء) شعر لامع براق، في حين أن شعر الناس المرضى يفقد بريقه. فأثناء المرض، يحتاج الجسم إلى مصادر جميع العناصر الغذائية المتاحة (كالحديد والبروتين) ليحارب المرض. وبما أن الشعر ليس ضرورياً للبقاء (مقارنة بنخاع العظم، مثلاً)، فالشعر هو المكان الأول الذي يتوجه له الجسم لجمع المغذيات الضرورية. وبالتالي، فالصحة الضعيفة لشخص تظهر أولاً في حالة الشعر.

إضافة لذلك، فالشعر ينمو ببطء شديد، حوالي ست بوصات في السنة. وهذا يعني أنه إذا كانت لامرأة شعر لحد الكتف (بطول قدمين)، فإنه يشير بدقة لوضعها الصحي على مدى السنوات الأربع الماضية، وذلك لأن الشعر ينمو مرة واحدة وما من شيء يمكن لحامله القيام به ليغير مظهره في وقت لاحق. فالمرأة قد تكون صحيحة الآن، ولكن إذا كانت مريضة في وقت ما خلال السنوات الأربع الماضية، فشعرها الطويل قد يشير إلى وضعها المرضي الماضي. لم يكن ما يمكن أن للمرأة فعله في بيئة الأسلاف لجعل شعرها يظهر صحياً وبراقاً لو كانت غير صحيحة. هذا أيضا هو سبب ميل المسنات للحفاظ على شعرهن قصيراً، لأنهن يملن لأن تصبح أقل صحة عندما يكبرن في السن، فلا يردن علامات واشية بوضعهن الصحي الراهن تتدلى من رؤوسهن.

لو أردت أن ترى هذه العملية في الأداء، حاول تجربة صغيرة بنفسك. اعثر على امرأة غريبة في مكان عام (مثل حديقة أو محطة مترو). لاحظها من الخلف، دون النظر إلى وجهها، يديها، ملابسها، أو أي شيء آخر عنها، فقط انظر إلى شعرها. حاول تخمين عمرها من حالة شعرها وحده، لا شيء آخر. وبمجرد انتهائك من التوصل إلى تخمين لسنها، مُرّ بها، واستدر إلى الأمام، وانظر بحذر في وجه المرأة. سوف تجد أنك نادراً جداً ما قد تفاجأ بسنها الظاهر عندما تنظر في إلى وجسدها كله، وذلك لأن حالة شعرها عادة ما تكون مؤشر دقيق جداً لعمرها. لقد اكتشفتَ الآن أهمية الشعر بوصفه دليلاً على العمر في بيئة الأسلاف.

(٤)الخصر الصغير

ما هي المقاييس المثالية للأنثى؟ ٣٦-٢٤-٣٦. لماذا تعتبر هذه القياسات هي المثالية للأنثى؟ لقد تبين أن هذه الأرقام لم تُختَر اعتباطاً، بل هناك منطق تطوري دقيق وراءها.

فقد أجرى النفساني التطوري في جامعة تكساس، ديفيندرا سينغ، تجارب في مجتمعات مختلفة لإثبات أن الرجال لديهم تفضيل عالمي لنسب خصر-لورك منخفضة (قياس الخصر مقسوماً على قياس الورك). إذ قدمت لهم رسومات شكلية لنساء متطابقات في كل شيء إلا نسبة الخصر-للورك (متراوحة بين ٠.٧ إلى ١.٠) ، أعرب معظم الرجال في تجارب سينغ عن تفضيلهم للنساء بنسبة الخصر-الورك ٠.٧، وهي قريبة جداً من نسبة الخصر-للورك لأي امرأة بقياس ٣٦-٢٤-٣٦ (٠.٦٧).

قمت بتكرار تجارب سينغ شخصياً وبصورة غير رسمية في ثلاثة بلدان مختلفة في ثلاث قارات مختلفة (الولايات المتحدة، نيوزيلندا، والمملكة المتحدة) ، وعثرت على نفس نتائج سينغ. كانت النتائج متماثلة بشكل ملحوظ في كل تجربة في كل بلد؛ معظم الرجال يفضلون النساء ذوات نسبة الخصر-للورك ٠.٧، ومعظم النساء يفضلن الرجال بنسبة الخصر-للورك ٠.٩.

لماذا إذن يريد الرجال نساءً بنسب خصر-لورك منخفضة؟ يقول سينغ أن هذا لأن النساء الصحيحات لهن نسب خصر-لورك أقل من النساء غير الصحيحات. فهناك مجموعة من الأمراض – كالسكري، ارتفاع الضغط، السكتة القلبية، السكتة

الدماغية، واضطرابات المرارة – تغيّر توزيع الدهون في الجسم بحيث لا يمكن للنساء المريضات أن يحافظن على انخفاض نسبة الخصر-للورك. فالنساء ذوات نسب الخصر-للفخذ منخفضة هن أكثر خصوبة؛ سيكون لهن وقت أسهل في حمل الأطفال، ويمكنهن القيام بذلك في وقت أبكر لأن لديهن كميات أكبر من الهرمونات التناسلية الأساسية. بطبيعة الحال، فالنساء الحوامل بطفل رجل آخر لا يمكنهن الحفاظ على نسبة خصر-لورك منخفضة.

نسبة الخصر-للورك للمرأة تتذبذب أيضاً، وإن قليلاً جداً، خلال دورة الطمث؛ فتصبح أوطأ أثناء الإباضة، عندما تكون المرأة خصبة. لذا، فالرجال يبحثون بلا وعي عن النساء الأكثر صحة وخصوبة عندما يسعون وراء نساء بخصور صغيرة.

إن تفضيل نسب الخصر-للورك الواطئة، كما حددها سينغ، يفسر معاً شعبية الكورسيهات في كثير من المجتمعات الغربية على مر التاريخ كوسيلة لجعل خصور النساء تبدو أصغر ما يمكن، والاتجاه الحالي للشابات لتعرية بطونهن. وهو يفسر أيضاً لماذا تكون المراهقات، لا النساء الآيسات، أكثر عرضة لتعرية بطونهن كإشارة صادقة على خصوبتهن العالية (القدرة على الحمل)، تماما كما تقوم النساء الشابات، لا الكبيرات، بإطالة شعرهن كإشارة صادقة على صحتهن. مرة أخرى، فنجومية بريتني سبيرز وكريستينا أغيليرا ليست سبب رغبة الفتيات الصغيرات لإظهار بطونهن، بل نتيجة لها.

إن رمزية نسبة الخصر-للفخذ في استنتاج خصوبة المرأة تفسر أهمية العددين الثاني والثالث في قياسات الأنثى المثالية ٣٦-٢٤-٣٦. ولكن ماذا عن الـ٣٦ الأولى؟ ما الذي يهم النساء في أن يكون محيط ثديهن: ٣٦ بوصة؟ هذا هو موضوع إدراجي اللاحق.

(٥)الثديان الكبيران

كان سر إعجاب الرجال بالنساء ذوات الأثداء الكبيرة لغزاً لفترة طويلة في علم النفس التطوري، خصوصاً وأن حجم ثدي المرأة ليس له علاقة بقدرتها على الإرضاع؛ فالنساء بأثداء صغيرة يمكن أن ينتجن من الحليب لأطفالهن الرضع بنفس قدر ذوات الأثداء الكبيرة. حتى ذوات الأثداء الكبيرة لا يكنّ بالضرورة أمهات أفضل من ذوات الأثداء الصغيرة. لماذا إذن يفضل

الرجالُ النساءَ ذوات الصدور الكبيرة؟ لم تكن ثمّ إجابة شافية لهذا السؤال حتى وقت قريب.

اقترح فرانك مارلو، الإناسي في هارفارد آنذاك، حلاً لهذا اللغز في أواخر الـ١٩٩٠ـات، رغم أنه بعد فهم هذا التفسير، أصبح لغزاً آخر أنه كيف لم تخطر لأحد من قبل لتلك الفكرة. يستغل مارلو الملاحظة البسيطة أن الأثداء الأكبر، والأثقل بالتالي، تتدلى مع التقدم في العمر بشكل أوضح مما تلك الأصغر. وبالتالي، فمن الأسهل بكثير للرجال أن يحكموا على عمر المرأة (وقيمتها الإنجابية) بالنظر لو كان لديها أكبر مما لو كان لديها أثداء أصغر، لا يتغير شكلها كثيراً مع تقدم العمر.

تذكر أنه لم يكن ثمّ أي تراخيص قيادة أو شهادات ميلاد يمكن للرجال أن يتحققوا منها لمعرفة أعمار النساء في بيئة الأسلاف. لم تكن ثمّ نتيجة/تقويم، وبالتالي لم يوجد مفهوم أعياد الميلاد في بيئة الأسلاف، وحتى النساء أنفسهن لم يعرفن بالضبط كم كان عمرهن. كان الرجال الأسلاف بحاجة لاستنتاج سن المرأة وصحتها الإنجابية من بعض العلامات الجسدية، وحالة الأثداء قدمت دليلاً جيداً، فقط إذا كانت كبيرة بما يكفي ليتغير شكلها بشكل واضح مع تقدم العمر. يمكن للرجال أن يخبروا عن سن النساء بشكل أدق، ويحاولوا التزاوج مع النساء الشابات فقط، فقط إن كانت لديهن أثداء أكبر. مارلو يفترض أن هذا هو السبب في أن الرجال يجدون النساء ذوات الأثداء الكبيرة أكثر جاذبية.

وفي الآونة الأخيرة، كان هناك تفسير نفسي تطوري منافس لكون الرجال يفضلون النساء ذوات الصدور الكبيرة. فدراسة للنساء البولنديات تظهر أن النساء الذين لديهم صدور كبيرة وخصور ضيقة معاً لديهن خصوبة أكبر، كما تشير لها مستويات اثنين من الهرمونات التناسلية (١٧ -β-إستراديول وبروجستيرون). لذلك فالرجال قد يفضلون النساء ذوات الصدور الكبيرة للسبب نفسه كما يفضلون ذوات الخصور الصغيرة. أدلة عملية أكثر قد تصبح ضرورية لتحديد أي هذين التفسيرين النفسيين التطوريين المتنافسين أكثر دقة. هذه فقط واحدة من المناطق العديدة التي تتنافس فيها الفرضيات في علم النفس التطوري – وهي علامة على علم صحي نشط، ودليل واضح على أن منتقدي علم النفس التطوري، الذين يدعون أنه مجرد "قصص حصلت هكذا" غير مفحوصة تجريبياً، هم يجهلون الميدان ببساطة.

يمكن للرجال الاستدلال بدقة على عمر المرأة وقيمتها الإنجابية فيما لو كان بإمكانهم مباشرة أن يراقبوا صدورهن وملامحهن الجسدية الأخرى (كمحتوى الدهون وتوزيعها من الجسم، وكما يظهر ذلك من الخصر الصغير، كما شرحت في إدراجي السابق). ولكن ماذا يفعل الرجال إذا لم يتمكنوا مباشرة من مراقبة أجساد النساء؟ ماذا لو أخفي جسد المرأة من خلال الملابس الثقيلة، على سبيل المثال؟ الرجال

بحاجة إلى طريقة أخرى لتحديد سن المرأة: لون شعرها. هذا هو موضوع إدراجي المقبل.

(٦)الشعر الأشقر



لماذا الشقراوات أكثر متعة؟
لأن السادة يفضلون الشقراوات. لماذا يفضل السادة الشقراوات؟ لأن لديهم آليات نفسية متطورة تدفعهم لأن يفضلوا ذوات الشعر الأشقر. لماذا؟

إن فكرة كون الشعر الأشقر هو المثال الأنثوي تعود على الأقل لنصف ألفية، وربما لألفي سنة. فهناك أدلة على أن النساء خلال العصر الروماني وعصر النهضة كن يصبغن شعرهن أشقر، طويلاً قبل اكتشاف البيروكسيد في ١٨١٢. لقد كانت رغبة النساء في أن يكُنّ شقراوات قوية جداً طوال التاريخ المسجل بحيث استطعن إنجاز ذلك دون مساعدة البيروكسيد.

يعتقد البعض أن الرجال يفضلون الشعر الأشقر لأن الشقراوات يملن إلى أن تكون بشرتهن أفتح، وهو ما يفضلونه. ولكن هذا يبدوخاطئاً. ففي حين أن الرجال يفضلون النساء ذوات البشرة الأفتح، لأنها تشير إلى ارتفاع معدل الخصوبة (فلون بشرة المرأة يغمق حين تكون حاملا أو على الحبة)، يرتبط اللون الأفتح للبشرة مع الشعر الأحمر، وليس الأشقر، ومع ذلك، وفقا لدراسة واحدة، كل من الرجال والنساء لديهم نفور شديد من الأقران المحتملين ذوي الشعر الأحمر. فقد تبين أن الرجال يفضلون الشعر الأشقر بالضبط لنفس سبب تفضيلهم للثدي الكبير: كلاهما مؤشر دقيق على عمر المرأة، وبالتالي قيمتها الإنجابية.

ما يميز الشعر الأشقر عن كل الألوان الأخرى هو أنه يتغير بشكل كبير مع تقدم العمر. فالفتيات الصغيرات بشعر أشقر فاتح يكبرن عادة ليصبحن نساء بشعر بني (رغم أن هناك قلة من النساء اللاتي يحتفظن بشعرهن أشقر فاتحاً إلى سن البلوغ). وهكذا، فإن كان الرجال يفضلون النساء ذوات الشعر الأشقر، فهم يحاولون بلا إدراك أن يتزاوجوا مع النساء الأصغر سناً (وبالتالي، في المتوسط ، الأكثر صحة وخصباً) وذوات القيمة الإنجابية والخصوبة الأكبر. ليس من قبيل المصادفة أن الشعر الأشقر تطور في اسكنديناڤيا وشمال أوروبا، حيث يكون الطقس شديد البرودة شتاءً. في أفريقيا، حيث تطور أسلافنا لمعظم تاريخهم التطوري، بقي الناس (رجالا ونساء) عراة معظم الوقت. في بيئة كهذه، ويمكن للرجال أن يقيموا بشكل دقيق عمر المرأة من توزيع الدهون في جسمها أو اكتناز ثدييها (كما ناقشت في الإدراج السابق). لم يكن لدى الرجال في المناخات الباردة مثل هذا الخيار، لأن النساء (والرجال) يلتحفون بشدة في بيئات كهذه. وربما هذا هو السبب في تطور الشعر الأشقر في المناخات الباردة كوسيلة بديلة للنساء للإعلان عن شبابهن. طوّر الرجال لاحقاً الميل لتفضيل التزاوج مع شقراوات الشعر كاستجابة؛ وكان للذين فعلوا ذلك في المتوسط نجاح إنجابي أكبر من أولئك الذين لم يفعلوا، لأنهم، دون علم منهم، انتهوا بالتزاوج مع النساء الأصغر سناً مع صحة إنجابية وخصوبة أكبر.

بالمناسبة، فهذا يشير أيضا إلى أن تنميطة" stereotype أن الشقراوات غبيات" قد يكون لها أساس إحصائي ما وهي صحيحة (كما أن كل التنميطات تقريبا صحيحة، كما شرحت في سلسلة من الإدراجات السابقة). لماذا يعتقد الناس أن الشقراوات غبيات؟ تذكر أن الدماغ البشري، بما في ذلك التنميطات التي يولدها، هو متكيف مع بيئة الأسلاف (كما يشير مبدأ السافانا). ماذا سيكون متوسط عمر الشقراوات الفاتحات في بيئة الأسلاف (شمال أوروبا مثلاً، منذ ١٠,٠٠٠ عاما) مع انعدام صبغة الشعر؟ حوالي ١٥. ماذا سيكون متوسط عمر السمراوات brunettesفي نفس البيئة؟ حوالي ٣٥. فلا بد لبنت الـ١٥ عاما من أن تكون أكثر سذاجة وأقل خبرة، نضجاً، وحكمة (بعبارة أخرى، "أغبى") من امرأة الـ٣٥ عاماً، مهما كان لون شعرها. إن الأمر ليس أن الشقراوات أغبى من السمراوات، بل أن الشابات "أغبى" (أقل معرفة، خبرة، ونضجاً) من النساء الأكبر، والشعر الأشقر هو مؤشر موثوق للشباب الفائر.

ربما يكون نفس المنطق وراء تنميطة أن ذوات الأثداء الكبيرة غبيات. ففي بيئة الأسلاف، دون جراحات تجميل أو حتى مناهدbras ، وحدهن اليافعات جداً لديهن أثداء كبيرة ومكتنزة.

(٧)العيون الزرقاء

إن وصفاً نموذجياً للجمال الأنثوي المثالي يذهب دائماً إلى "شعر أشقر، وعيون زرقاء." بعد أن اقترح مارلو حلاً للغز لماذا تفضيل الرجال للنساء ذوات الصدور الكبيرة، لا تزال جاذبية العيون الزرقاء هي السر الوحيد الواجب حله في مجال الصفات المرتبطة بالجاذبية الجسدية. عرفنا الآن لماذا يفضل الرجال النساء مع كل الصفات التي تميز باربي أو أي شقراء متفجرة نموذجية، وعرفنا المنطق التطوري وراء كل منها. ولكن لون العين، بشكل أكثر من لون الشعر، ويبدو سمة تعسفية جداً. لماذا يجب أن تكون النساء ذوات العيون الزرق مختلفات عن ذوات العيون الخضر أو البنية؟ مع أن تفضيل العيون الزرقاء يبدو عالمياً ولا يمكن إنكاره.

هناك طبقة إضافية على سرّ العيون الزرقاء. فخلافاً لجميع الصفات الأخرى التي نوقشت سابقا في سلسلة الإدراجات هذه (الشباب، الشعر الطويل، الخصر الصغير، الثديان الكبيران، والشعر الأشقر)، والتي تعتبر جذابة فقط للنساء، يعتقد أن العيون الزرقاء جذابة للرجال كما النساء. على سبيل المثال، فالوصف النموذجي للرجل الجذاب هو "طويل القامة ، أسمر، ووسيم ،" وليس أشقر؛ فعلى عكس النساء الشقراوات، لا يعتبر الرجال الشقر عالميا جذابين (لأن النساء يفضلن عموماً التزاوج مع الرجال الأكبر سناً، لا الأصغر). ومع ذلك، كما تظهر أمثلة كفرانك سيناترا ("تلك العيون الزرق") وبول نيومان (الذي اشتهرت عنه نكتة أنه لا يريد أن ينقش على قبره "هنا يرقد بول نيومان الذي توفي فاشلاً لأن عينيه تحولتا للبني") فالرجال مع عيون زرق يعتبرون جذابين، تماماً كالنساء مع عيون زرق. لذلك يبدو أن الإجابة على سؤال "لماذا العيون الزرق جذابة؟" يجب أن تتضمن أكثر من التفضيل الجنسي للذكور.

جاذبية العيون الزرقاء بقيت غموضاً تطورياً حتى قامت طالبة جامعية لديّ، لي آن تيرني، باقتراح حل جديد في ورقتها الفصلية للصف الذي أخذته مني في ربيع ٢٠٠٢. بقدر ما أعرف، تفسيرها هو الوحيد المتاح لجاذبية العيون الزرقاء من بين

كل ما اقترح فيما مضى، وله على الأقل معقولية ظاهرية. ولكن، بطبيعة الحال، لا بد له أن يخضع لاختبارات تجريبية صارمة قبل أن يصبح تفسيراً مقبولاً.

تشير تيرني إلى أن بؤبؤ pupil عين الإنسان يتوسع عندما يتعرض الفرد لشيء يحبه. على سبيل المثال ، بؤبؤات النساء والأطفال (وليس الرجال) تتمدد تلقائياً عندما يرون أطفالاً. وهكذا يمكن أن يستغل اتساع حدقة العين، وهو عادة ما يكون خارج سيطرة الفرد الاختيارية الواعية، باعتباره دليلاً صادقاً على الاهتمام والانجذاب. معظم الناس لا يدركون حتى أن حجم بؤبؤاتهم يتغير عندما يرون شيئا يروق لهم، لذلك سيكون من الصعب خداع الآخرين من خلال التلاعب الواعي بحجم البؤبؤ. فلا يمكننا إلا أن نكشف عن اهتمامنا وانجذابنا للآخرين من خلال حجم بؤبؤنا.

ثم تستفيد تيرني من ملاحظتين بسيطتين. أولاً، كل بؤبؤ بشري هو بني داكن، بغض النظر عن لون القزحية، التي تحتوي البؤبؤ وتحدد لون العين. ثانياً، الأزرق هو أخف لون لقزحية الإنسان. نتيجة هاتين الملاحظتين تفيد أن حجم البؤبؤ أسهل تحديداً في العيون الزرقاء. إذا كنت تواجه أناساً بألوان عيون مختلفة، وعليك تحديد ما إذا كان كل شخص يحبك أو يهتم بك، مع تثبيت كل شيء آخر، فمن الأسهل أن تقرأ مستوى الاهتمام أو الانجذاب لدى الشخص أزرق العينين.

حجة تيرني، والتي أعتقد أنها قد تكون صحيحة، هي أن ذوي العيون الزرق يعتبرون جذابين كأقران محتملين لأنهم أسهل في تحديد ما إذا كانوا مهتمين بنا أم لا. فمن الأسهل أن "تقرأ عقول" ذوي العيون الزرق من أصحاب عيون بأي لون آخر، على الأقل عندما يتعلق الأمر بالاهتمام أو الانجذاب.

إحدى المزايا في حل تيرني للغز العيون الزرقاء هي أنه لا يفسر فقط لماذا تعتبر العيون الزرقاء مثالية في الأزواج ولكن ما يفسر أيضا لماذا، على عكس سائر السمات التي ناقشت في سلسلة الإدراجات هذه، تعتبر العيون الزرق جذابة في كلا الجنسين. فإنه أهمية قراءة عقول الرجال لدى النساء لا تقل عن أهمية قراءة عقول النساء لدى الرجال؛ فدون أي شيء، ونظراً للعواقب الأكبر بكثير للوقوع في الخطأ بالانجذاب إلى الشخص "الخطأ"، ينبغي أن تكون للنساء حاجة أكبر ليقررن ما إذا كان الاهتمام الظاهري لشركائهن المحتملين حقيقياً أم لا. فالآثار السلبية المترتبة على الانخداع بخاطب كذاب هي أكبر بكثير لدى النساء، فالعيون الزرقا ينبغي أن تكون صفة أكثر أهمية في الرجال عنها في النساء.

وبالمناسبة، أعتقد أن منطق تيرني يمكن أن يفسر أيضاً لماذا يعتبر ذوو العيون البنية الغامقة في كثير من الأحيان "غامضين". فهم غامضون لأن عقولهم – أي: ما إذا كانوا أو لم يكونوا مهتمين أو منجذبين لنا – أصعب بكثير لدى التقييم. فاللون البني الداكن للقزحية مشابه جداً للّون (العالمي) للبؤبؤ البني الداكن، وهكذا فإنه من الصعب للغاية قياس حجم البؤبؤ في العيون البنية الغامقة. في دراسة واحدة، كثير

من الناس، رجالا ونساء ، عبّروا عن كرههم للعيون البنية الغامقة جداً (كما فعلوا مع الشعر الأحمر).

(٨)العيون الواسعة



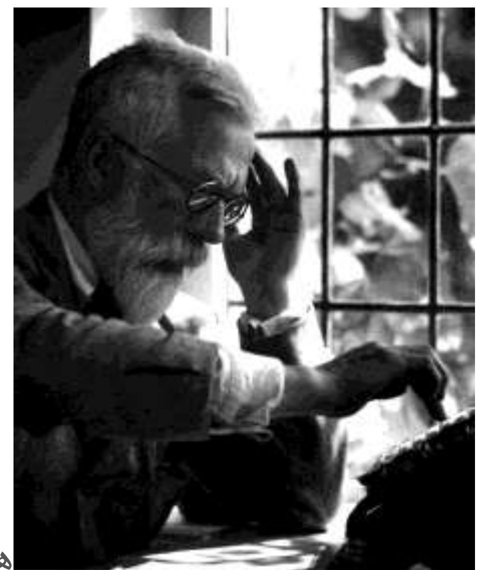
ميزة أخرى تعتبر جذابة في النساء هي العيون الواسعة. على عكس العيون الزرق (نوقشت في الإدراج السابق)، فالعيون الواسعة تعتبر جذابة في النساء فقط، لا في الرجال. لِمَ هذا؟ لماذا تعتبر العيون الواسعة جذابة في النساء فقط، لا في الرجال؟

هناك على الأقل سببان منفصلان لكون العيون الواسعة جزءاً من الجمال الأنثوي المثالي. أولا، كما ذكرت باختصار في إدراج سابق، فالعيون الواسعة (مع الشفاه الأوفى، والجباه الكبيرة، والذقون الأصغر) هي مؤشرات على مستويات عالية من الإستروجين. والنساء بمستويات أعلى من هرمون الإستروجين يقضين وقتاً أسهل في الحمل من النساء بمستويات أقل من الإستروجين. فالنساء ذوات العيون الواسعة لذلك يصنعن أزواجاً أفضل في المتوسط مع النساء بعيون أصغر.

والسبب الثاني هو أن العيون الواسعة سمة طفولية (neotenous مميزة للأطفال والرضع). فلأن العين البشرية لا تكبر في الحجم خلال النمو بقدر سائر الوجه والرأس، فحجم العين نسبةً للوجه ينخفض مع نمونا. وكما نعلم جميعاً، فالأطفال (كصغار أنواع الثدييات الأخرى) لديهم عيون كبيرة نسبياً مقارنة مع الأطفال الأكبر والبالغين. نتيجة لذلك، غالبا ما ينظر الناس (رجالاً ونساء) إلى الذين لديهم عيون واسعة على أنهم أصغر سنا مما هم عليه فعلاً. (كم تقدر عمر المرأة في هذه الصورة، على سبيل المثال؟) فلأن الرجال يفضلون النساء الأصغر سناً، كما شرحت في إدراج سابق، فهم يميلون إلى تفضيل النساء مع ميزات طفولية، كالعيون الواسعة. وهذا هو سبب آخر لكون العيون الواسعة (وهي شائعة في الأطفال والأولاد) هي جزء من الجمال الأنثوي المثالي.

قد تتلكأ الآن عند هذا التفسير للنظر في الرغبة للنساء بعيون كبيرة لدى الرجال. يجوز لك أن تشير (بشكل صحيح) إلى أن الرجال لا يحاولون التزاوج مع الأطفال

والأولاد؛ فهذا سيكون لاتكيفياً للغاية لأنهم غير ناضجين. لذلك، قد تسأل، لماذا الرجال يفضلون المرأة التي، جوهرياً، تبدو كالأطفال؟



هذه نقطة جيدة جداً لإدخال مفهوم هام في البيولوجيا التطورية :**انتقاء الهروبRunaway selection** ، والذي تعرف أحيانا باسم انتقاء الهروب الفيشري، على اسم الوراثي البريطاني رونالد أ. فيشر، الذي اقترح لأول مرة هذه الفرضية. كاستطراد بسيط، لو كنت قد أخذت في أي وقت مضى الإحصاء الأساسي في الكلية، لا بد أن ك قد تستذكر شيئاً غامضاً يسمى "إحصائية "F أو " اختبار ."F حيث F في إحصائية F ترمز إلى فيشر، الذي ابتكر الاختبار وقدم مساهمات هامة أخرى للإحصاء. وهذا هو السبب، على عكس إحصائية t ، إحصائيةz ، أو إحصائية مربع-كاي$\chi 2$ ، في أن F يكتب دائماً بالحرف الكبير.

يشير مفهوم انتقاء الهروب إلى أنه عندما يفضل جنس ما أزواجاً مع سمات وراثية معينة، ثم، من خلال عملية الانتقاء الجنسي، سيأتي الجنس الآخر ممتلكاً هذه الميزة بأشكال مبالغ فيها على نحو متزايد. تقدم قرون الإلكة (أكبر أنواع الأيائل) مثالاً جيداً. فإناث الإلكة تفضل التزاوج مع ذكور بقرون أكبر، وذلك لأن هذه الذكور يمكنها هزيمة الذكور الأخرى ذوات القرون الأصغر في المسابقات على الأراضي والأزواج، ولأن حجم قرن الإلكة محدد وراثياً إلى حد كبير، فسيحمل أبنائهم أيضاً قرون كبيرة تكون جذابة للأقران المحتملين. ونتيجة لذلك، وسوف يأتي ذكور إلكة بقرون أكبر وأكبر ، إلى نقطة تصبح قرونهم ببساطةٍ كبيرة جداً. قد تصبح كبيرة بحيث تشكل عقبات أمام التغذية والبقاء، وحتى لقتال الذكور الآخرين، وهو الغرض الأصلي من وجود القرون الكبيرة في المقام الأول. ولكن الذكور يواصلون إظهار قرون مبالغ بها جداً لأنها سمة مفضلة لدى الإناث تطورت عن طريق انتقاء الهروب لفيشر.

ربما نفس العملية تحدث مع تفضيل الرجال للنساء بميزات طفولية. لأن الرجال يفضلون التزاوج مع النساء الأصغر سناً، فالنساء يأتين مع المزيد والمزيد من الميزات الطفولية، مما يجعلهن يبدون ليس فقط صالحات للزواج وبالغات، في نهاية المطاف يافعات، أشباه-أولاد بل حتى أشباه-أطفال. ربما كان تفضيل الرجال للشعر الأشقر قد توجهوا من خلال انتقاء هروب مماثل. كما أشارت لي المحررة الأقدم في "علم النفس اليوم"، كارلين فلورا، من قبل، والعديد من الأطفال الصغار الشقر لا يعودون شقراً وشعرهم يتحول للأغمق قبل وقت طويل من وصولهم إلى سن البلوغ (كما فعلت كارلين). لذا بتفضيل التزاوج مع النساء بشعر أشقر خفيف، فالرجال في كثير من الأحيان ينجذبون (لاتكيفياً) للأطفال قبل سن البلوغ. قد يكون تفضيلهم للنساء مع عيون كبيرة لاتكيفياً بالمثل. ولكن تفضيل الرجال للنساء مع سمات طفولية، وامتلاك النساء لمثل هذه السمات، مع ذلك، قد يكون تطور عبر انتقاء الهروب.

(٩)المفارقة الكبيرة: لماذا ينخدع الرجال



إذن فالرجال يحبون النساء اللاتي يبدون كشقراوات متفجرات، أو باربي، والنساء يريدن أن يبدون مثلهن، وذلك لأن كل من سماتهن الرئيسة (الشباب، الشعر الطويل، الخصر صغيرة، الأثداء الكبيرة، الشعر الأشقر، العيون الزرق، والعيون الواسعة) هو مؤشر على الشباب، وبالتالي على الصحة، القيمة الإنجابية، والخصوبة. هناك منطق تطوري دقيق وراء صورة الجمال الأنثوي المثالي. الآن، قد يكون القراء الحاذقون الذين تابعوا إدراجات هذه السلسلة قد التفتوا إلى المفارقة في كل هذا. *لا شيء مما قلته في الإدراجات السابقة لهذه السلسلة صحيحٌ بعد الآن.*

من خلال شد الوجه، الشعر المستعار، شفط الدهون، تكبير الثدي جراحياً، صبغ الشعر، عدسات لاصقة ملونة، وجراحات التجميل، يمكن لأي امرأة – بغض النظر عن سنها – أن تحصل على جميع السمات الرئيسة التي تميز الجمال المثالي للإناث. قليل جداً من مظهر باميلا أندرسون هو طبيعي. فامرأة عمرها ٤٠ عاماً اليوم يمكن أن تعتمد على التقنية الحديثة لتستمر في الظهور كامرأة عمرها ٢٠ عاماً). وفرح فاوسيت في الـ٦٠ تبدو أفضل وأصغر من معظم النساء "العاديات" في نصف عمرها.

والرجال يقعون فيهن. كما يشير مبدأ السافانا ("لدى الدماغ البشري صعوبة في الفهم والتعامل مع الكيانات والحالات التي لم تكن موجودة في بيئة الأسلاف")، فأدمغة الرجال لا يمكنها حقاً أن تفهم أثداء السيليكون أو صبغ الشعر الأشقر، لأن هذه الأشياء لم تكن موجودة في بيئة الأسلاف منذ ١٠,٠٠٠ سنة. ويمكن للرجال أن يفهموا بوعي وإدراك أن كثيراً من النساء كثيرة بأثداء كبيرة مكتنزة لسن في الواقع بعمر ١٥ سنة، لكنهم لا يزالون يجدونهن جذابات لأن آلياتهم النفسية المتطورة تنخدع بالاختراعات الحديثة التي لم تكن موجودة في بيئة الأسلاف.

فلسفة الموضوعانية: ملخص وجيز



د. ليونارد بيكوف، مؤلف هذه المقالة

نشرت أصلاً في "المتوازيات المشؤومة" (بلوم للكتب، ١٩٩٧)

إن نظاماً كاملاً للفلسفة التي تدعو إلى التعقل والأنوية قد تم تعريفه في عصرنا على يد آين راند. أعني فلسفة الموضوعانية، التي عرضت بالتفصيل في"*أطلس مستهجن*"، "*مقدمة لنظرية المعرفة الموضوعانية*"، و"*فضيلة الأنانية* ."وهي الترياق للحالة الراهنة في العالم. (جميع الاقتباسات اللاحقة، إلا إن أشير لغير ذلك، هي من أعمال آين راند).

معظم الفلاسفة قد تركوا نقاط انطلاقهم إلى متضمنات غير معروفة. ولكن قاعدة الموضوعانية صريحة جداً" :**الوجود موجود، وفعل الفهم والاستيعاب لهذه العبارة يتضمن بديهيتين نتيجتين: أن ثمَّ شيئا يتصوره شخص، وأن ثمَّ شخصاً موجوداً يمتلك الوعي، حيث أن الوعي هو وسيلة إدراك ما يوجد حاليا."**

إن الوجود والوعي هي حقائق ضمنية في كل إدراك. وهما قاعدة لجميع المعارف (واشتراط للبرهان) : فالمعرفة تفترض أن شيئاً سيُعرف وشخصاً ليَعرفه. وهي مطلقات لا يمكن التشكيك أو الهرب منها: فكل تلفّظ إنساني، بما في ذلك نكران هذه البديهيات، يتضمن استخدامها والقبول بها.

البديهية الثالثة في قاعدة المعرفة – وهي بديهية صحيحة ، بكلمات أرسطو، "للوجود بما هو وجود" – هي قانون الهوية. هذا القانون يحدد جوهر الوجود: أن تكون هو أن تكون شيئاً ما ، والشيء هو ما هو، وهذا يؤدي إلى المبدأ الأساسي لكل الأفعال، قانون السببية. قانون السببية ينص على أن أفعال شيء ما تتحدد لا بالصدفة، ولكن بطبيعته ، أي: ما هو عليه.

ومن المهم أن نلاحظ العلاقة المتبادلة بين هذه البديهيات الثلاثة. فالوجود هو البديهية الأولى .***الكون موجود مستقلاً عن الوعي*** .الإنسان يقدر على تكييف خلفيته

لاحتياجاته الخاصة ، ولكن" **الطبيعة، لكي تُقاد، يجب أن تُطاع) "**فرانسيس بيكون). ما من عملية عقلية يمكنها أن تغير قوانين الطبيعة أو تمحو الحقائق. إذ وظيفة الوعي ليست خلق الواقع ، ولكن تفهُّمه. "الوجود هو الهوية ، والوعي هو تحديد الهوية."

إن المصدر الفلسفي لوجهة النظر هذه، والداعي الأكبر لها في تاريخ الفلسفة هو أرسطو. ومعارضوها هم جميع التقاليد الرئيسة الأخرى، بما في ذلك الأفلاطونية والمسيحية والمثالية الألمانية. مباشرة أو غير مباشرة ، فهذه التقاليد تدعم فكرة أن الوعي هو خالق الواقع. وجوهر هذا المفهوم هو إنكار بديهية أن الوجود موجود.

في النسخة الدينية، يدعم المنكرون دعوةً إلى وعي "فوق" طبيعي، أي متفوق، ومتناقض، مع الوجود؛ وفي النسخة الاجتماعية، يذيبون الطبيعة إلى ضبابية غير محددة، ويعطونها شبهَ شكلٍ عابراً وفق رغبة الإنسان. المدرسة الأولى تنفي الواقع من خلال التمسك بهما معاً (أي الواقع والوعي الفائق). والمدرسة الثانية تستغني عن مفهوم الواقع بذلك النحو. الأولى ترفض العلم، القانون، العلاقة السببية، والهوية ، زاعمة أن كل شيء ممكن لإرادة الرب، كلية القدرة وصانعة المعجزات. وتنص الثانية على ذات الرفض الديني بألفاظ علمانية، بدعوى أن كل شيء ممكن لإرادة "الشعب."

أي من المدرستين لا تستطيع أن تطالب بقاعدة من الأدلة الموضوعية. فلا توجد طريقة للتفكير انطلاقاً من الطبيعة إلى نقيضها ، أو من الحقائق إلى تخريبها، أو من أي فرضية إلى محو النقاش على هذا النحو ، أي بدءاً من أسسه: متمثلة ببديهيات الوجود والهوية.

الميتافيزيقا ونظرية المعرفة مترابطان ترابطا وثيقا؛ وهما يشكلان معاً الأساس للفلسفة. في تاريخ الفلسفة، رفض الواقع ورفض التعقل كانا متلازمين دوماً. وبالمثل، كما يشير مثال أرسطو، ميتافيزيقا موالية للواقع تعني وتتطلب نظرية معرفة موالية للتعقل.

والتعقل كما تعرفه آين راند هو" **القدرة التي تحدد وتدمج المواد التي توفرها حواس الإنسان."**

التعقل يؤدي هذه الوظيفة من خلال المفاهيم، وصحة التعقل تعتمد على صحة المفاهيم. ولكن طبيعة وأصل المفاهيم هي مشكلة رئيسة للفلسفة. إذا كانت المفاهيم تشير إلى وقائع ، فإن المعرفة لديها قاعدة في الواقع، ويمكن للمرء أن تحدد أسس موضوعية لتوجيه عملية الإدراك الإنسانية. وإذا كانت المفاهيم معزولة عن الواقع، فحتى ذلك الحين يصبح الإنسان وجميع معارفه، أعمى بلا حول.

وهذه هي "مشكلة الكليات"، التي تعثرت فيها الفلسفة الغربية.

ادعى أفلاطون العثور على مرجع للمفاهيم ليس في هذا العالم ، ولكن في بعد فوق-طبيعي من الجواهر. والكانطيون يعتبرون المفاهيم (بعضها أو كلها) خلواً من المرجعيات، أي: كإبداعات ذاتية للعقل البشري مستقلة عن الحقائق الخارجية. كلا النهجين ، وكل تنوعاتهما في تاريخ الفلسفة يؤديان إلى نفس النتيجة الأساسية: قطع أدوات إدراك الإنسان عن الواقع، وبالتالي إضعاف عقل الإنسان. (على الرغم من أن نظرية المعرفة الأرسطية أعلى بكثير ، ولكن نظريته عن المفاهيم اختلطت ببقايا الأفلاطونية وهي غير مقبولة.) أما الفلاسفة الحديثون فقد تخلوا عن المشكلة، وكنتيجة لذلك ، تخلوا عن الفلسفة على هذا النحو.

أما آين راند، فتتحدى وتكتسح الحصن الرئيسي للمحور الضد-عقلي. وإنجازها التاريخي هو ربط شكل الإدراك الإنساني المميز بالواقعة، أي: تفعيل تعقّل الإنسان.

وفقا للموضوعانية، فالمفاهيم تستمد من وتشير إلى حقائق الواقع.

العقل عند الولادة (كما ذكر أرسطو أول مرة) هو ***لوح أبيض***؛ لا توجد أفكار فطرية. والحواس هي وسيلة الإنسان الرئيسة للاتصال بالواقع؛ وهي تعطيه اشتراطاً لكل معرفة لاحقة، ودليلا على أن ثمة شيء. ماهية الشيء هي ما يكتشفه على المستوى المفاهيمي للوعي.

تشكيل الأفكار هو طريقة الإنسان في تنظيم المواد الحسية. لتشكيل مفهوم، يعزل المرء كتلتين أو أكثر عن سائر مجاله الإدراكي، ويدمجهما في وحدة عقلية واحدة، يرمز إليها بكلمة واحدة. المفهوم يستوعب عدداً غير محدود من الحالات: واحدة للكتل التي عزلها، وكل الأخريات (في الماضي والحاضر والمستقبل) هي التي تشابهها.

التشابه هو مفتاح هذه العملية. يمكن للعقل أن يحتفظ بخصائص الكتل المماثلة ***دون تحديد قياساتها*** التي تختلف من حالة إلى حالة. "المفهوم هو التكامل العقلي لاثنين أو أكثر من الوحدات التي تمتلك نفس الخاصيـ(ات) المميزة، مع حذف قياساتها المحددة."

المبدأ الأساسي لتشكيل المفاهيم (الذي ينص على أن القياسات المحذوفة يجب أن يكون موجودا في كمية***ما***، ولكن يمكن أن توجد في *أي* كمية) هو المعادل للمبدأ الأساس للجبر ، الذي ينص على أن الرموز الجبرية يجب أن تعطى قيمة عددية ***ما***، ولكن يمكن إعطاءها *أي* قيمة. في هذا المعنى والاعتبار، الوعي الإدراكي هو الحساب، ولكن ***الوعي المفاهيمي هو الجبر للإدراك.***

المفاهيم ليست ذاتية ولا فوق–طبيعية: إنها تشير إلى حقائق هذا العالم، كما عالجتها وسيلة إدراك الإنسان. (إن ما سبق هو بيان موجز؛ للمناقشة كاملة راجع" *مقدمة إلى نظرية المعرفة الموضوعانية*.")

الحواس، المفاهيم، والمنطق : هذه هي عناصر القدرة العقلية للإنسان – بدءها، شكلها، وأسلوبها. في الجوهر، "اتبع التعقل" يعني: ابنِ المعرفة على الملاحظة؛ شكّل المفاهيم وفقا للعلاقات الحقيقية (القابلة للقياس) بين الكتل؛ استخدم المفاهيم وفقا لقواعد المنطق (في نهاية المطاف، قانون الهوية). لأن كلاً من هذه العناصر مبني على أساس حقائق الواقع، والاستنتاجات التي بتوصل إليها بعملية التعقل هي موضوعية.

والبديل عن السبب هو أحد أشكال التصوف أو التشكك (أي تكافؤ الأدلة).

الصوفي يسعى لمعرفة فوق–طبيعية، والمشكك ينفي إمكانية أي معرفة. يدعي الصوفي أن وسيلة المعرفة الإنسانية غير كافية وأن المعرفة الحقيقية تتطلب نوراً من عند الله؛ المشكك يوافقه، ثم يلقي بالله. الصوفي يتمسك بالمطلقات، التي يدافع عنها بدافع الإيمان؛ والمشكك يجيب بأنه بلا إيمان. إن إيمان الصوفي، في نهاية المطاف، هو في مشاعره، والذي يعتبرها سبيلاً إلى الماوراء، والمشكك يطرح الماوراء، ثم يتبع مشاعره ***هو*** التي، كما يقول، هي الأساس الوحيد للعمل في عالم مجهول.

المشاعر هي نتاج أفكار الناس وأحكامهم القِيَمية، التي تعتقد بوعي أو بوعي باطن. وهي ليست أدوات للإدراك أو أدلة للعمل.

أدان متدينو الطراز القديم العقل البشري على أساس أنه محدود، نهائي، وراسخ في الأرض، كضدٍ للعقل الإلهي كلي الكمال بلا مثال. هذا يتضمن هجوماَ على الهوية (كما يفعل أي رفض للنهائي)؛ ولكنه يفعل ذلك تحت غطاء من التأكيد على وعي لهوية أكبر وفوق–طبيعية. أما العدميون الحديثون فهم أكثر وضوحا: إنهم يسعون لا للنهائي، ولكن للصفر. تماما كما يرفضون مفهوم الواقع في الميتافيزيقا، وكذلك يرفضون إمكانية الوعي في نظرية المعرفة.

الإنسان، يقول الكانطيون، لا يمكنه أن يعرف "الأشياء كما هي ،" لان هذه المعرفة تكتسب عن طريق حواس بشرية، مفاهيم بشرية، ومنطق بشري، أي من وسائل المعرفة البشرية.

نفس شكل البرهان قد ينطبق على أي وعي – إنساني، حيواني، أو إلهي (على افتراض وجود هذا الأخير): إن كان هو شيئاَ، إذا كان يقتصر على بعض، ***أي من***، وسائل للمعرفة، بنفس المنطق فهو لن يعرف "الأشياء كما هي"، ولكن فقط "الأشياء كما تبدو" لهذا النوع من الوعي.

يعترض كانط على حقيقة أن عقل الإنسان له طبيعة. نظريته هي : الهوية – جوهر الوجود – تبطل الوعي. أو: وسيلة المعرفة تجعل المعرفة مستحيلة. وكما تشير آين

راند ، فهذه النظرية تعني أن "الإنسان أعمى، لأن لديه عيون – أصم، لأن لديه آذان – واهم، لأن لديه عقل – والأشياء التي يدركها غير موجودة، ***لأنه*** يدركها."

تماما كما تسحب عدمية كانط المعرفية بالإدراك بعيداً عن الهوية، كذلك تسحب عدميته الأخلاقية الأخلاق – ميدان ***القيم*** –بعيداً عن أي استمتاع بالحياة.

أما الأخلاقيات الموضوعانية فهي عكس كانط. الأخلاقيات الموضوعانية تبدأ بسؤال أساسي: لماذا الأخلاق ضرورية؟

الجواب يكمن في طبيعة الإنسان بوصفه كائناً حياً. على الكائن الحي أن يتصرف في مواجهة خيار ثابت: حياة أو موت. الحياة مشروطة؛ لا يمكن أن يستمر إلا من خلال مسار معين للعمل يقوم به الكائن الحي، مثل أفعال الحصول على الغذاء. وفي هذا الصدد النباتات والحيوانات لا خيار لها: في حدود صلاحياتها ، فإنها تتخذ تلقائياً الإجراءات التي تتطلبها حياتهم. الإنسان يملك الخيار. انه لا يعرف تلقائيا ما هي الإجراءات التي ستحافظ عليه، وإذا كان يريد البقاء فعليه الاكتشاف، ثم الممارسة بالاختيار، لمدونة من القيم والفضائل، المدونة الخاصة التي تقتضيها حياة البشر. الغرض من الأخلاق هو تحديد مثل هذه المدونة.

الموضوعانية هي الفلسفة الأولى التي تحدد العلاقة بين الحياة والقيم الخُلُقية. "الأخلاق" ، تكتب آين راند، "هي هدف***ضرورة وجودية لبقاء الإنسان*** – لا بفضل الفوق–طبيعي أو جيرانكم أو أهواءك الخاصة، ولكن بفضل الواقع وطبيعة الحياة".

معيار الأخلاق، كما تتطلبه طبيعة الواقع وطبيعة الإنسان، هو حياة الإنسان" **.كل ما هو مناسب لحياة الكائن العاقل هو خير؛ كل ما هو مدمر لها هو شر".**

"عقل الإنسان" ، كما ينص جون غالت، بطل" *أطلس مستهجن"*

هو أداته الأساسية للبقاء. الحياة أعطيت له، وليس البقاء. جسده أعطي له، وليس قُوتُه. عقله أعطي له، وليس مضمونه. ليبقى على قيد الحياة، عليه أن يعمل، وقبل أن يتمكن من العمل لا بد له أن يعرف طبيعة وغرض هذا العمل. فهو لا يستطيع الحصول على طعامه دون معرفة الغذاء وطريق الحصول عليه. ولا يستطيع حفر خندق – أو بناء سيكلوترون – دون معرفة هدفه ووسيلته لتحقيق ذلك. ليبقى على قيد الحياة، عليه أن يفكر.

التفكير ليس عملية تلقائية. فللإنسان أن تختار بين أن يفكر أو يسمح لعقله بالركود، أو يختار بإرادته أن يتحول ضد ذكائه، يتهرب من علمه، يخرّب عقله. إذا رفض للتفكير ، فهو يأتي بالكوارث: انه لا يملك الحصانة لكي يرفض وسيلة إدراكه للواقع.

التفكير هو عملية حساسة وصعبة، لا يستطيع الإنسان تنفيذها ما لم يكن هدفه المعرفة، ومنهجه المنطق، وحكم عقله هو موجهه المطلق. الفكر يتطلب الأنانية، الأنانية الأساسية للقدرة العقلانية التي لا تدع شيئاً يعلو على سلامة وظيفتها الخاصة.

لا يمكن للإنسان أن يفكر إذا كان يضع شيئاً، أي شيء، فوق تصوره للواقع. إنه لا يستطيع متابعة الأدلة دون كلل أو دعم استنتاجاته بعناد، في حين يلاحظ الامتثال لناس آخرين كدافعه الأخلاقي، والتحقير الذاتي كأعلى فضائله، والتضحية كواجبه الأساسي. لا يمكنه استخدام دماغه بينما يتنازل عن سيادته عليه، أي: حين يتقبل نظرائه كمالكين ونزلاء في دماغه.

الناس يتعلمون من الآخرين، ويبنون على عمل أسلافهم ، ويحققون بالتعاون من المفاخر ما سيكون من مستحيل على جزيرة صحراء. ولكن كل هذه العلاقات الاجتماعية تتطلب ممارسة الوسيلة الإنسانية للادراك ؛ فهي تعتمد على الفرد الانفرادي ، "الانفرادي" في المعنى البدئي والداخلي للمصطلح، بمعنى إنسان يواجه الواقع بشكل مباشر، يسعى لا ليعلق نفسه على صليب الآخرين أو يتقبل كلمتهم كفعل إيمان، ولكن للفهم، للتواصل، للمعرفة.

عقل الإنسان يتطلب الأنانية، وكذلك حياته في كل جانب؛ على الكائن الحي أن يكون المستفيد من أفعاله. عليه أن يلاحق أشياء محددة لأجله، لصالحه، ولبقائه. الحياة تتطلب اكتساب القيم ، لا خسارتها؛ الإنجاز ، لا النكران؛ الحفاظ على النفس، لا التضحية بالنفس. يمكن للإنسان أن تختار تقدير ومواصلة التضحية بالنفس، لكنه لا يستطيع البقاء أو الازدهار بأسلوب كهذا.

الأنانية الأخلاقية لا تعني رخصة للقيام بكل ما يرضي أحداً تقوده النزوات. بل تعني الانضباط الدقيق بتعريف وتحقيق مصلحة الفرد الذاتية ***العقلانية*** .أي مدونة للمصلحة الذاتية العقلانية ترفض كل شكل من أشكال التضحية البشرية، سواء من النفس للآخرين، أو من الآخرين للنفس. أخلاقيات المصلحة الذاتية العقلانية تؤيد ممارسة عقل واحد لخدمة حياة واحدة، وجميع خيارات القيم وسمات الشخصية المحددة التي تنطوي عليها ممارسة كهذه. إنها تتمسك بفضائل العقلانية، الاستقلال، النزاهة، الصدق، العدل، الإنتاجية، والفخر. إنها لا تدعو "للبقاء بأي ثمن."

حياة الإنسان، كما تتطلبها طبيعته، ليست حياة غاشم أرعن، أو حثالة نهّاب أو صوفي شحّات، ولكن حياة كائن مفكّر – لا حياةً عن طريق القوة أو الاحتيال، ولكن الحياة عن طريق الإنجاز – لا البقاء بأي ثمن، لأن هناك ثمناً واحداً فقط يُدفع لبقاء الإنسان: التعقل.

التعقل هو سمة للفرد. الفكر هو عملية لا يقوم بها الناس، بل الإنسان – كمفرد. لا يمكن لأي مجتمع، لجنة ، أو جماعة "عضوية" جماعة أن تفعل ذلك. كل ما يمكن أن تفعله مجموعة في هذا الصدد هو أن: تترك الفرد حراً ليعمل، أو تمنعه.

إن الشرط ***السياسي*** الأساسي لحياة الإنسان هو الحرية.

"الحرية" في هذا السياق تعني القدرة على التصرف دون إكراه من الآخرين. تعني قدرة الفرد على التصرف وفقا لحكمه، مع احترام الحق نفسه للآخرين. في مجتمع حر، ينبذ الناس طريقة قاتلة في التعامل مع الخلافات: استهلال القوة المادية.

القوة هي الضد اللفظي والنقيض للفكر. فالفهم لا تنتجه لكمة في الوجه؛ الوضوح الفكري لا ينبثق عن فوهة بندقية؛ وترجيح الأدلة ليس بوساطة تشنجات الإرهاب. العقل هو وسيلة إدراكية؛ لا يمكنه تحقيق المعرفة أو الإدانة بمعزل عن أو ضد تصوره للواقع؛ إذ لا يمكنه أن يكون قسرياً.

النظام السياسي المناسب، في جوهره – النظام الذي يحرس حرية عقل الإنسان – هو النظام الأميركي الأصلي، المبني على مفهوم الحقوق الفردية غير القابلة للتصرف. "إن مصدر حقوق الإنسان ليس القانون الإلهي أو القانون النيابي، ولكن قانون الهوية. ألف هو ألف ، والرجل هو الرجل. ***الحقوق*** هي شروط الوجود التي تتطلبها طبيعة الإنسان من أجل البقاء الملائم".

كان الآباء المؤسسون على حق بشأن حقيقة أن الحقوق سياسية لا اقتصادية، أي أنها قوانين للعمل وللحفاظ على نتائج عمل الفرد، لا مطالبات غير مكتسبة بأعمال أو نتاجات الآخرين. وكانوا على حق حول حقيقة أن وظيفة الحكومة المناسبة هي حماية حقوق الإنسان.

حقوق الإنسان، تلاحظ آين راند، لا يمكن انتهاكها إلا بالقوة البدنية (الاحتيال هو شكل غير مباشر للقوة). وأي نظام سياسي قائم على الاعتراف بالحقوق هو الذي يحرس الإنسان ضد العنف. لذا فالناس لا يتعاملون مع بعضهم كقتلة محتملين، بل كتجار ذوي سيادة، وفقا لأحكامهم المستقلة وموافقتهم الطوعية. هذا النوع من النظام يمثل الحماية المنهجي لعقل الإنسان ولمصلحته الذاتية، أي الوظيفة والغرض التي عليها تعتمد الحياة البشرية.

الحكومة هي الجهة التي تقوم باحتكار الاستخدام القانوني للقوة البدنية. في مجتمع حر الحكومة لا تستعمل القوة إلا في التأديب، ضد أولئك الذين بدءوا باستخدامها. هذا ينطوي على ثلاث وظائف رئيسية هي : الشرطة؛ الجيش؛ والمحاكم (والتي توفر وسيلة لحل المنازعات سلميا ، وفقا لقواعد موضوعية.(

إن الحكومة في مجتمع حر ممنوعة من محاكاة المجرمين التي أنشئت للقبض عليهم. فهي ممنوعة من استهلال القوة ضد الناس الأبرياء. ولا يمكنها ضخ قوة التدمير المادي في حيات المواطنين المسالمين، لأجل أي غرض أو في أي مجال للمسعى ، بما في ذلك في مجال الإنتاج والتجارة.

وهذا يعني رفض أي انفصام بين الحرية السياسية والاقتصادية. ويعني الفصل بين الدولة والاقتصاد. هذا يعني البديل الوحيد للاستبداد الذي تم اكتشافه على الإطلاق: رأسمالية ***دعه يعمل***.

تاريخيا، عملت الرأسمالية ببراعة، وهذا هو النظام الوحيد الذي سوف يعمل. أدت الاشتراكية بكل تنويعاتها إلى كارثة، وستؤدي ثانية كلما حاولت. ولكن الاشتراكية هي محط إعجاب معلمي البشرية، في حين أن الرأسمالية هي الملعونة. ومصدر هذا هو عكس لحقيقة أن الحرية أنانية، والحقوق أنانية، والرأسمالية أنانية.

إن صح أن الحرية والحقوق والرأسمالية هي أنانية، فيصح أيضاً أن الأنانية ، معرفةً بشكل لائق، هي الصالحة.

ما من مستقبل للعالم إلا من خلال ولادة جديدة للنهج الأرسطي للفلسفة. وهذا يتطلب تأكيدا أرسطياً لواقعية الوجود، لسيادة العقل، للحياة على الأرض، والعظمة للإنسان.

أرسطو والموضوعانية يتفقان على الأساسيات، ونتيجة لذلك، على هذه النقطة الأخيرة أيضاً. كلاهما يعتقد أن الإنسان يمكنه أن يتعامل مع الواقع، ويحقق القيم، ويعيش دون مأساوية. لا يؤمنان في الإنسان الدودة أو الإنسان الوحش؛ كلاهما يتمسك بالإنسان المفكر، وبالتالي الإنسان البطل. أرسطو يسميه "الرجل عظيم النفس". آين راند تسميه هوارد روارك، أو جون غالت.

في كل عصر ، بحكم طبيعتهم، على الناس أن يكافحوا: يجب أن يعملوا، بعلم أو بدونه، لتفعيل رؤية ما للإمكانات البشرية، سواء كانت متناسقة أو متناقضة، متعالية أو وضيعة. يجب عليهم، في نهاية المطاف، صنع خيار أساسي، يحدد خياراتهم الأخرى ومصيرهم. الخيار الأساسي ، وهو نفسه دائماً، هو الخيار المعرفي: التعقل أو اللاتعقل.

بما أن فهم الناس للتعقل ونسخهم عن اللاتعقل تختلف من عصر لعصر، وفقا لمدى معرفتهم وفضيلتهم، فكذلك الشكل المحدد للاختيار، ونتيجته المحددة.

في العالم القديم ، بعد قرون من الانحطاط التدريجي، كان الخيار هو أفكار الحضارة الكلاسية أو الأفكار المسيحية. اختار الناسُ المسيحية. وكانت النتيجة هي العصور المظلمة.

في العالم الوسيط، بعد ألف سنة، كان الخيار هو أوغسطين أو الأكويني. اختار الناس الأكويني. وكانت النتيجة هي عصر النهضة.

في العالم المستنير، بعد أربعة قرون لاحقة، تصارع مؤسسي أميركا من أجل التأكيد على خيار أسلافهم النهضويين، لكنهم لم يتمكنوا جعله يتماسك تاريخيا. وكانت النتيجة بلداً جديداً رائعاً، مع مدمر ذاتي مدمج.

اليوم، في الولايات المتحدة، الخيار هو الآباء المؤسسين والأساس الذي لم يتسن لهم ، أو كانط والتخريب. والنتيجة ما زالت مفتوحة.

سيكون مشوشاً أن نبحث عن الدين الواحد الصحيح..



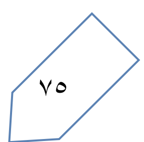
كلٌّ يعظّم دينه .. يا ليت شعري ما الصحيح؟

غالبا ما أتيحت لي حوارات مع أناس متدينين عن قناعاتهم المطلقة بأن رواياتهم الدينية هي الصحيحة (بدلا من الروايات النابعة من الـ٩٩٩٩ ديناً الأخرى). عادة ، كان الرد هو ذلك الذي يعرّف معنى الطوطولوچيا: "أنا أعلم أنها الرواية الصحيحة لأن ديني هو الوحي الصحيح". جميل!

افترض أن شخصاً من المريخ قد انتقل إلى الأرض حديثاً. وهو يقوم بالتسوق بحثاً عن دين واحد صحيح. دعونا نرى أين سيقوده هذا الاستكشاف. كأيّ مريخي منطقي وعقلاني، فسوف يبدأ بطرح بعض الأسئلة الأساسية ليبقي الحوار دائراً.

هل يمكنني أن أشرب الكحول؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل يمكنني أكل البروشيوتو (نوع إيطالي من اللحم المقدد، يتخذ من لحم الخنزير)؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.



هل يمكنني أكل بعض الأرز المقلي مع الجمبري؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل يمكنني الاستماع إلى الموسيقى؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل يمكن أن أشغّل الحاسوب للعمل يوم السبت؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل يمكن أن أتخذ أكثر من زوجة واحدة؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل يمكنني أن أستمني (أشبع ذاتي جنسياً)؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

ما هي سهولة الحصول على الطلاق؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

ما هي العقوبة اللازمة (إن وجدت) للمثلية الجنسية؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل يمكن للمرء أن ينتحر؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل يمكن لي أخذ الأدوية الموصوفة إذا مرضت؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل ثمَّ حيوانات معينة تعتبر مقدسة؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل ثمَّ إله واحد أو آلهة متعددة؟ هذا يعتمد على من هو/هي الإلهـ(ة) الحقيقيـ(ة.(

هل توجد جهنم؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل ممارسة الجنس قبل الزواج مسموحة؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل الشمس إلهية؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل لي أن أتناسخ؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

كيف على المرأة أن تلبس؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل ختان الذكور واجب إلهي؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل ختان الإناث واجب إلهي؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل كشف المخلِّص (المسيّا) عن نفسه؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

يمكنني شراء الغفرانات "لأنقل بسرعة" أقاربي الأموات إلى الجنة؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل من المهم أن تكون دائما على علم بموقعك بالنسبة للاتجاهات الأساسية؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل هناك ممثل مباشر للإله على الأرض؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل سيذهب الملحدون إلى الجحيم؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

كم هو سهل بالنسبة لي أن أنضم إلى دينكم؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل هو تجديف أن أحصل على وشم؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل هناك شيء ما مثل النهر المقدس؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل يجب أن أسعى للانتقام من أعدائي؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل نحن قريبون من هرمجدون (المعركة الكبرى قبل عودة يسوع المسيح)؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل تسكن بعض الأرواح على الكواكب الأخرى؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

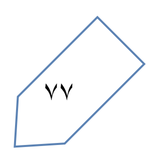
هل يحظر ارتداء الأحذية الجلدية في أيام معينة؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل الحج واجب إلهي؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

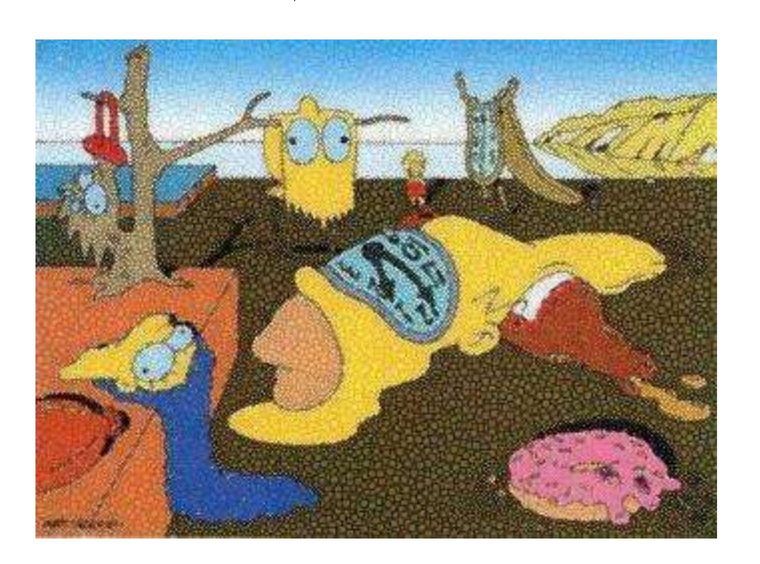
هل الردة (ترك الدين) مسموح بها؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

هل التطور حقيقة؟ هذا يعتمد على من هو الإله الحقيقي.

بعد كل هذه الأسئلة *سوف يبدو صحيحاً أن الإله يكمن في التفاصيل!*



موت الحس السليم سيعلن نـهاية المجتمعات الحرة



د. جاد سعد

كنت قد كتبت عن الحكاية الشخصية التالية في مكان آخر (Saad, 2004) ولكنها تستحق التكرار هنا. قبل عدة سنوات، خرجت أنا وزوجتي لعشاء احتفالي مع أحد طلابي في الدكتوراه وإحدى صديقاته. كانت الصديقة المشار إليها مابعد-حداثية ملتزمة وأكاديمية نسوية شديدة. عند نقطة ما خلال عشائنا، سألتها بلطف ما إذا كانت تعتقد فعلاً بالمبدأ المابعد-حداثي التأسيسي أنه ***لا توجد حقائق كلية***. للقارئ اللماح أن يلاحظ المشكلة المنطقية هنا، **لأن هذا المبدأ الأخير نفسه يفسر على أنه حقيقة كلية!** منحيّة هذا اللغز المحرج جانباً، ردت بكل تأكد أنه بالفعل كل المعارف نسبية. بالتأكيد، رددت بأن لا بد من وجود بعض الكليات، وإلا فالسعي وراء الحقائق العلمية ليس سوى وهم مطلق. على أمل أن أكون أكثر تحديداً، اقترحتُ تزويدها بأمثلة من الكليات ومن ثم يمكن لها أن تفسر لي كيف كنتُ مضللاً.

لقد بدأت مع حقيقة تافهة بعض الشيء أو هكذا اعتقدت. سألتها عما إذا كانت حقيقة كلية أنه ضمن الجنس البشري وحدهن النساء يحملن الأطفال. بالتأكيد فهذه حقيقة مطلقة، أم لا؟ بعد تقليب عينيها باشمئزاز تام، واتخاذ بعض تكشيرات ونفثات، فأجابت أنها استغربت كم كان مثالي جنسوياً .sexist عند هذه النقطة، طالبي في الدكتوراه، زوجتي، وأنا كنا في حيرة حقاً. فقد أوضحت النسوية أنه في السرد الروحي لمجموعة معينة من الشعب الياباني، فالرجال هم الذين يحملون الأطفال! ومن ثم، عن طريق تقييدي المتعمد لحمل الأطفال بالعالم الفيزيائي/البيولوجي، فقد كنت جنسوياً. بالتأكيد، في المجال البيولوجي، فإن المرأة هي التي تحمل وتلد، ولكن في الساحة الروحية، فمن المعقول تماماً للرجال أن يحملوا بالأطفال. مع أني كنت على علم تام بالثرثرة اللامعنوية للمابعد-حداثيين، لا بد لي من الاعتراف بأن هذا مستوى جديد من التفكير الوهمي. استجمعت نفسي وقررت تقديم مثال واحد إضافي ونـهائي.

بدأت بالقول أنه ربما كان مثالي الأول "مثيراً للجدل" جداً لأنه تناول الفروق بين الجنسين. وفقا لذلك، فأود أن أوفر مثالاً "حميداً" أكثر، ربما يكون أسهل لها أن تهضمه. سألتها عما إذا كانت حقاً حقيقة كلية في أي جهة نظر على وجه الأرض، أن الشمس تشرق في الشرق، وتغرب في الغرب. بالتأكيد، فالبحارة اعتمدوا منذ زمن سحيق على هذه الحقيقة الكونية. خذ دقيقة للتفكير في الكيفية التي يمكن أن ردت بها في هذه الحالة. هنا تلميح: انها تستخدم أدوات التفكيكية لكي "تندف بعيداً" آخر كلّياتي. فالتفكيكية تزعم إن الواقع هو خلق لغوي. وبالتالي، ليس هناك حقيقة موضوعية لنتحدث عنها، لأن كل المعلومات تقيد داخل حدود لغوية ذاتية. اقترحت أولاً أني كنت أضع علامات على الأشياء، ورفضت أن تلعب ألعاباً كهذه. فهي لم تعرف ماذا قصدتُ بـ"الشرق" أو "الغرب". كانت هذه تسميات اعتباطية. ما الذي عنيتُه بـ"الشمس"؟ ما أدعوه الشمس، قد تشير له على أنه "ضبع راقص" (بكلماتها الفعلية!) ، وهذا ما رددت عليه بامتعاض: أوكي، الضبع الراقص يشرق في الشرق، ويغرب في الغرب. وأفضل من ذلك، فالضبع الراقص يعطيني حروق ضبع راقص على بطني السمينة إذا اضطجعت وقتاً طويلاً دون أي حماية من الضبع الراقص!

لو كنت تعتقد أن هذا حادث معزول لا يمثل المابعد-حداثيين، النسويات الأكاديميات، أو التفكيكيين، فأنت على خطأ. فقد قضت هذه الحركات المناهضة للعلم الجزءَ الأكبر من العقود الأربعة الماضية في تلويث العقول، ليس للأكاديميين اللامعين فقط ولكن أيضاً لأجيال من الطلاب الذين كانوا خلاف ذلك معجبين بالغموض المتعمد والعمق الوهمي لهؤلاء المشعوذين الفكريين. تمكنت الجهود المتضافرة التي بذلها علماء معتبرون من بقر تأثير الحركات المناهضة للعلم في الجامعات. على سبيل المثال، قدم الفيزيائي ألان سوكال عمداً ورقة مابعد-حداثية بلا معنى تتضمن مقاطع ولّدت بعشوائية زائفة إلىSocial Text ، إحدى مجلات النخبة في هذا المجال. بعد أن قبلته، اعترف سوكال بحيلته رغم أن هذا لم يبدو محرجاً للمحررين. بعد كل شيء، لأن كل المعاني نسبية، فالمحررون فسروا ورقة مولدة عشوائياً وبلا معنى على أنها ذات معنى!

هذه الحركات المناهضة للعلم إلى جانب النسبية الثقافية، والصوابية السياسية، وروح التأنيب الذاتي فيما يخص جميع الحقائق الجيو-سياسية تبرهن على زوال الحضارة الغربية. إن ثرثرة كهذه تسببت في تقديم جميع وسائل الإعلام الأمريكية تقريباً لتوضيحات هلوسية بخصوص حادث تايمز سكوير الأخير، تتضمن أن الإرهابي المزعوم فعل هذا لانه تخلف عن دفع رهنه العقاري، وبالتالي كان يواجه ضغوطاً مالية كبيرة. كل من الوسائط ومسؤولي أوباما هم تحت مرسوم صارم لتجنب النطق بالحقائق الجيو-سياسية الأكثر وضوحا. وهذه الحركات اللامعنوية شبه-الفكرية سوف تعلن نهاية الديمقراطيات الليبرالية إذا لم تُستأصل من الخطاب العام.

نقاط قوة وضعف النسوية

FEMINISM IS THE RADICAL NOTION THAT WOMEN ARE MEN

د. جاد سعد

قرأت مؤخراً مقالات ساتوشي كانازاوا وريجينا بارّيكا عن النسوية feminism باهتمام، لأنها تسلط الضوء على كم هو حساس ومشحون هذا الموضوع. في إدراج اليوم، أود أن أساهم في النقاش بالإشارة إلى نقاط قوة وضعف النسوية. بفعلي لذلك، آمل إزالة الغموض عن الشكل المحترم من النسوية (كحركة محاربة الظلم) من نظيره الجموح (كفرع أكاديمي قادر كما يبدو على المساهمة في حقول مختلفة كعلم النفس، علم البيئة، الفيزياء، البيولوجيا، الكيمياء، والرياضيات، فضلا عن كونه مرعى خصباً لكره الرجال).

واجهت المرأة أشكال وحشية لا حصر لها من التمييز المؤسسي منذ زمن سحيق وفي جميع أنواع البيئات الثقافية. هذه حقيقة لا يمكن إنكارها ومستهجنة أخلاقيا. وبناء عليه، فالنسوية كحركة، تسعى لتحقيق المساواة للمرأة في المجالات الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، والمهنية (مسمياً مجالات قليلة)، جديرة بالثناء. ما من سبب أخلاقي لا ينبغي لأجله أن لا يسمح للمرأة في التصويت، لا تنال فرصة متساوية في التعليم والرعاية الصحية، أو لا تحصل على نفس المبلغ من المال كرجل يؤدي نفس العمل، الخ. والنسوية كانت مسؤولة بتفرّد عن تصحيح هذه المظالم الاجتماعية الجنسوية جداً. هذا ما يمكن أن أسميه "النسوية النافعة"، وبذا تحت هذا العنوان يمكن أن أسمي بفخر نفسي نسوياً، لأنني أمقت كل أشكال الظلم والتعصب. اقرأ مناقشة لتاريخي الشخصي الزاخر بأحداث التعصب الخبيث هنا.

دعني الآن أنتقل إلى أشكال جامحة، بلا معنى، وضارة من النسوية، وهو ما سأصوغ له اسم "النسوية المعادية". سوف أتقيد بمناقشة أربع قضايا رئيسة.

(1)منذ بداية الحركة، تقاربت العديد من النسويات الراديكاليات بشكل سريع على الفكرة الخاطئة أن النساء يجب أن يعاملن بمساواة في جميع نواحي الحياة، ومن المهم إثبات أن الرجال والنساء كائنات غير متمايزة. ولذا، نسبت كل الفروق بين الجنسين عدا الأعضاء التناسلية إلى التنشئة الاجتماعية. إن طفلاً متوسط له ثلاث سنين يعرف أن هذا الموقف مضحك رغم أنه شعار مركزي في برامج "دراسات النساء" والأدب النسوي ذو الصلة. انظر "اعتناق النسوية: حكايات تحذيرية من

العالم الغريب لدراسات النساء"، تأليف دافني باتاي ونوريتّا كورتغه، لأمثلة لا نهاية لها من المواقف النسوية اللاعقلانية والقابلة للتخطئة بشكل صارخ.

الرجال والنساء ينبغي أن يكونوا متساوين في ظل القانون مع أنهم كائنات بيولوجية متميزة. إن تمني زوال الفروق بين الجنسين، وخلق الروايات الخيالية عن قدرة التنشئة الاجتماعية في تشكيل كل الفروق بين الجنسين، هو الحمق بعينه. فالأمر لا يحتاج لدارويني مستعقد لندرك أننا نوع ثنا-شكلي جنسياً ويتكاثر جنسياً. بحكم التعريف، فهذا يعني أن لدى الرجل والمرأة بعض الاختلافات الفطرية البيولوجية.

(2)بعض أشكال الحركة النسائية قد تكون ضارة لأنها بنت أساساً أيديولوجياً ضد-ذكوري. على ما يبدو، فكراهية النساء شريرة وتستحق الشجب ولكن كراهية الرجال حميدة وجديرة بالثناء. ربما يمكنني أن أسرد ١٠٠٠ مقتطف من المنظرات النسائيات الرائدات، كلها مسيء للغاية وشديد الجنسوية. لو أن نفس المقتطفات النسوية حرّفت فيها كلمة "رجل" لتصبح "امرأة"، ستفسر المقتطفات محل النظر كجنسوية مرعبة. ومع ذلك، عندما تقولها "النسويات التحرريات"، فهي جائزة تماما. أنا متأكد من أن معظم القراء يعرفون قول أندريا دووركن وكاثرين ماكينون الذي مفاده أن جميع الرجال مغتصبون، والجنس المغاير heterosexual لا يخلو من الاغتصاب. وأود أن أضيف أنه وفقاً لكثير من النسويات، والرجال الذين يستهلكون البورنو هم على أقل تقدير "مغتصبون تحت التدريب". أتساءل ماذا يمكن أن نفعل للتكاثر نظراً لأن التزاوج المغاير يبدو "اختراقياً بعنف". أفترض أنه مع التقدم في التلقيح الاصطناعي، قد يستغنى عن الرجال (وقد اقترحت بعض النسويات بالمناسبة هذا الموقف). أو ربما قد يتعلم الرجال جعل المرأة حاملاً عن طريق الجنس التانتري "بلا لمس". بدلا من ذلك، يمكننا استكشاف إمكانيات الاستنساخ البشري كوسيلة لامتداد جيناتنا. وسوف نفعل أي شيء بما أننا نجتث "التزاوج المغاير الاختراقي" من مرجع الجنسانية البشري.

(3)في العالم الغريب للنسوية الأكاديمية، قواعد المعرفة لمجالات علمية الجليلة مشتبه بها إن لم تكن غير مكتملة لأن الرجال كانوا مساهمين رئيسين في تلك الميادين. أنا لا أتحدث عن دراسات السينما والنقد الأدبي حيث يمكن للمرء أن يجادل بأن النصوص التفسيرية وسائر النتاجات الثقافية قد تستفيد من أن تحلل من وجهات نظر ايديولوجية عديدة. دون علم علماء الطبيعية، فالعلوم الصعبة بما في ذلك الفيزياء، الكيمياء، والأحياء، بحاجة على ما يبدو إلى التأثر بالنظرية النسوية. حقا!؟ إن لم يكن هذا هلوسياً بما يكفي لحد الآن، فيبدو أن الرياضيات (أصفى جميع المجالات) غير كاملة ومنحازة، وتفتقر الى وجهة نظر نسوية. بما أنني قد تدربت في الرياضيات، أتساءل ما للرياضيات النسوية أن تكون. كان علي أن أقرأ "الخرافة الرفيعة: اليسار الأكاديمي وخلافاته مع العلم" تأليف بول ر. غروس ونورمان ليفيت لأحصل على جوابي. على ما يبدو، فالمشكلات الحسابية اللفظية جنسوية بطبيعتها في مضمونها، وبالتالي يمكن أن "تتحرر" بعدسة نسوية. نجاح

باهر! خذ مثلاً المشكلة اللفظية التالية: "بوب أطفائي يكسب ٤٠،٠٠٠$ في السنة. نصحه رئيسه، كبير الإطفائيين لاري بأنه سيتلقى زيادة راتب بنسبة ٥٪ العام المقبل، ماذا سيكون راتبه السنوي الجديد؟" الرياضيات النسوية سوف تغير "إطفائي" إلى "إطفائية" (أو ربما "شخص إطفاء")، بل وتغير اسم "بوب" لـ"باربارا". وتغير أيضا "لاري" لـ"ليندا". أنا لا أختلق هذه الأمور. لست مستهزئا. بل أنقل بالحرف. أوه لا. لقد حان الوقت لإعادة النظر في جميع المعارف التي تكتلت في الرياضيات طوال أكثر من ألفيات أربع، بما أن البديهيات الرياضية "الجنسوية" قد تم هدمها. السير إسحاق نيوتن، حان الوقت لتحديث دليلك في الكالكولاس. فأنت جنسوي يا سيدي. كيهودي لبناني، أتساءل عما إذا كان بإمكاني تطوير فرع جديد من الرياضيات يتحدث عن هويتي العرقية. "إبراهيم محاسب يكسب ٤٠٠٠٠ $ في السنة. نصحه رئيسه موردخاي روزنبرغ بأن راتبه سيرتفع بنسبة ٥٪..."

غير راضية على أنها "حررت" الرياضيات من أغلالها "الجنسوية"، فقد نوّرتنا النسويات الأكاديميات عن الخصائص الجنسوية للدنا DNA. تحديداً، فالبيو-كيمياء النسوية تقترح أن الدنا هو أداة للهيمنة الذكورة كما يتضح من سرد "الجزيء السيد" خاصته .(1996,McElroy) لطيف! يمكنني أن أوفر لكم أمثلة أخرى لا تحصى من "المساهمات العلمية" الناشئة من المنظرات النسويات ولكني أفترض أنكم حصلتم على الفكرة العامة.

(4)الحركة النسائية خلقت بلبلة بشأن الديناميات الجائزة بين الجنسين. فالرجال والنساء لم يعودوا يثقون بغرائزهم الداروينية؛، فبدلاً منها يسعون للانضمام إلى القواعد الجديدة "النسوية" للسلوك البين-جنسي، لأنهم يخشون للغاية من اتهامهم بأنهم "خنازير جنس" أو "أدوات للنظام الأبوي". انظر لإدراجاتي السابقة بشأن الجنسوية الخيرة هنا وهنا، لأنها تتعلق لحد كبير بهذه النقطة. هل يحق لي أن أمتدح زميلتي حول ملابسها الجميلة أو سيكون هذا تحرشاً؟ هل تستطيع أن تمتدح كم أبدو لماحاً في بدلتي الجديدة أو انها ستكون مشيّئة لي كلحم-رجل؟ وبالتالي، فمعظم الأفراد يشقون الآن طريقهم بحذر شديد في ديناميات حياتهم اليومية لأنهم يشعرون بالخوف الشديد من احتمال اتخاذ "زلة اجتماعية" تحظرها الروحية النسوية.

لكي أختصر، **دعونا نُشيد بالحركة النسائية لمساهمتها في جعل مجتمعاتنا أكثر انصافا وعدلا، وأقل جنسوية (رغم أن ثم مزيداً من العمل). ومع ذلك، دعونا نقضي على الهراء الذي صدر من قبل الغالبية العظمى من المنظّرات النسويات.**

الولاء للصنف في الدين لا يفوقه شيء



د. جاد سعد

لمعظم مديري الأصنافbrands ، الولاء للصنف هو مقياس حاسم للنجاح. إحدى طرق قياس الولاء للصنف هي قياس مدى تكرار الاشتراءات purchases. لنفترض أن علينا تتبع الاشتراءات العشر المقبلة للمشروبات الغازية للمستهلكين A و B. إذا كان المستهلك A يشتري بيبسي في كل المناسبات العشر في حين يشتري المستهلك B فانتا، بيبسي، وكوكا كولا ثلاث مرات لكل منها، و ٧ UPمرة واحدة، يمكننا أن نستنتج أن المستهلك A يُبدي ولاءً أكبر للصنف في هذه الفئة من منتج معين. الامتداد الطبيعي هو أن نسأل ما إذا كان ولاء المستهلك A الثابت للصنف وسعي المستهلك B للتنوع أموراً ظرفية، أو ما إذا كانت هذه التفضيلات مظاهر لسمات ترتيبية. وثمة مسألة أخرى تهم المسوقين، هو ما إذا كان الولاء للصنف لمنتج معين يُتناقل بين الأجيال. إذا كان والديك يستهلكان بيبسي دائماً في المنزل، هل يزيد ذلك من احتمال أن تصبح أنت شارب بيبسي شديد؟ وهذا يقودني إلى المسألة الرئيسة لإدراج اليوم : أي المنتج يحظى بأكبر قدر من الولاء البين-أجيالي للصنف؟ حسناً، الفائز متجاوز بأميال لمنافسه المقبل. فالدين هو المسيطر على الولاء للصنف.

معظم المسوّقين قد يسيل لعابهم ــ ككلاب بافلوف ــ على فكرة أن منتجاتهم تمتلك نسبة ولاءٍ بين-أجيالي للصنف على مقربة مما يمتلكه الدين. وفي مجال العلوم الاجتماعية، العديد من الأكاديميين يتحمسون لأعلى حد إذا كان لديهم نموذج يفسر ٣٠٪ من التفاوت للظاهرة قيد التحقيق. حسناً، دين والديك هو مؤشر شبه-مثالي للدين الذي قد تسميه خاصتك. بعبارة أخرى، فإن الانتقال البين-أجيالي للمعتقدات الدينية يفسر ما يقرب من ١٠٠٪ من التفاوت قيد السؤال. ومن هنا، فالرواية الدينية التي يعتقدها أحد ما (وفي بعض الحالات يستعد للموت من أجلها) مدفوعة بالكامل من قبل أيّ عائلة "عَرَضية" كان قد ولد فيها.

بعض الأديان تقدم حوافز مغرية ضد السعي للتنوع (الردة ...(**الموت .!**ابقَ زبوناً موالياً وإلا ستموت. بطبيعة الحال، فالأديان الأخرى أكثر دهاء لحد ما في محاولاتها للحفاظ على ولاء قطعانهم للصنف. ابقَ في النادي واجني الجوائز في السماء، أو اترك النادي واستعد لأن تُقلى في الجحيم إلى الأبد. هذه بعض نقاط البيع الرئيسة والقوية نوعاً ما!

واحد من معايير تحديد ما إذا كان أخلاقياً أن تقوم بالإعلان للأطفال هو أن نسأل السؤال التالي: ما هو السنّ الأدنى الذي لدى الأطفال فيه قدرة إدراكية على فهم الدوافع الخفية للمعلنين، وبالتالي بناء دفاعات إدراكية ضد محاولات كهذه؟ هذا النهج منسجم مع أعمال النفساني السويسري جان بياجيه، الذي درس المراحل الإدراكية الإنمائية التي يجتازها الأطفال. في حين توجد بعض الاختلافات بين الثقافات من حيث الحد الأدنى للسن القانونية لاستهداف الأطفال، فهناك معيار شائع هو عمر ثماني سنوات. إذن، ففي حين أنه غير أخلاقي أن تعلن للأطفال الصغار الذين هم، بخلاف ذلك، غير مستعدين ذهنياً لفهم النية المقنعة خلف الرسائل الإعلانية، فإنه على ما يبدو أخلاقي ومعنوي تماما أن تقوم "بإعلان" أحد المعتقدات الدينية للأطفال بعد فترة وجيزة من دخولهم إلى العالم. يبدو أن المنتجات المقدسة إلهياً لا تحتاج لتتوافق مع المعايير الأخلاقية نفسها التي تفرض على شركات التبغ من قبل لجنة التجارة الاتحادية، أو التي تفرض على منتجي الأفلام (عن طريق تقييمات الأفلام) من قبل لجنة مكلفة بتطبيق بعض المعايير المجتمعية المشوشة وسريعة الزوال. من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن القانون ينص على مبادئ توجيهية محددة للغاية حول متى يمكن للأفراد أن يمارسوا الجنس، يمكنهم التصويت، يمكنهم الزواج، يمكنهم السياقة، أو يمكنهم الشرب (لأنها بخلاف ذلك غير مستعدين إدراكياً وعاطفياً للمشاركة في هذه السلوكيات)، إلا أنهم "مستعدون" تماما ليكونوا عرضة للروايات الدينية مباشرة بعد خروجهم من الرحم.

مسجد المنطقة صفر(Ground Zero Mosque)



بعد أسابيع من التهرب من الموضوع، في حفل إفطار رمضاني في البيت الابيض مساء الجمعة، أعرب الرئيس أوباما عن دعمه لـPark51 ، مخطط المركز الاجتماعي الإسلامي والمسجد، الذي يبعد وحدتين سكنيتين عن موقع مركز التجارة العالمي. الرئيس يقول انه لم يكن يؤيد مسجد" المنطقة صفر"، *بل كان فقط يدافع عن الحق في بنائه .سام هاريس يكتب عن فشل الرئيس في الاعتراف بأن الإسلام يختلف عن الأديان الأخرى.

هل يجب أن يُبنى مسجد ومركز ثقافي إسلامي ذي ١٥ طابقا على بعد وحدتين من موقع أسوأ فظاعة جهادية في الذاكرة الحية؟ مقولا بهذا الشكل، فالسؤال يجيب على نفسه تقريباً. هذا لا يعني أن أقول، مع ذلك، أني أعتقد أنه ينبغي أن نمنع مواطنينا من بناء "مسجد المنطقة صفر." ربما لا يوجد أساس قانوني لفعل ذلك في أي حال — ولا ينبغي أن يكون هناك. لكن الفارق بين ما هو قانوني وما هو مرغوب فيه، أو حتى لائق، يترك المجال لكثير من المشاريع التي قد لا يزال أصحاب النوايا الحسنة يجدونها هجومية. إذا كنت تستطيع جمع المئة مليون دولار المطلوبة، يمكن أن تقوم أيضا ببناء مزار للشيطان في هذا المكان، كاملا مع أسماء جميع الضحايا غير المؤمنين في ١١/٩، المستحقين للعذاب الأبدي في النار. يمكن أيضا أن تبني معهداً لـ "حقائق ١١/٩"، لتقديم السذاجة، الماسوشية، والاضطهادية لدى ١٦ في المئة من الأميركيين الذين يتصورون أن مركز التجارة العالمي تم هدمه عمدا من قبل عملاء للحكومة الامريكية. بالمناسبة، فإن أي مزار لنظرية المؤامرة ربما يجب أن يحتوي أيضاً على مسجد، جنباً إلى جنب مع قائمة الأربعة آلاف اليهود الذين رفضوا بطريقة مثيرة للريبة أن يمارسوا الربا في البرجين التوأمين في يوم الهجوم.

إن إقامة مسجد على أنقاض هذا العمل الوحشي سوف ينظر إليه أيضا من قبل عدة ملايين من المسلمين كانتصار ـ وكعلامة على أن القيم الليبرالية في الغرب مرادفة للانحطاط والجبن.

صحيفة نيويورك تايمز أعلنت أن المسجد المقترح لن يكون سوى "نصب تذكاري للتسامح". وغني عن القول أن التسامح هو قيمة ينبغي لنا جميعا أن نلتزم بها التزاما عميقا. ولا يمكننا أن نتجاهل حقيقة أن العديد من معارضي بناء هذا المسجد يجسدون كل ما هو منحرف بشكل مخيف في أمريكا المحافظة ـ "المولودين" الذين ينتظرون بإخلاص يوم الصعود، السياسيين الجمهوريين الانتهازيين، والمجانين المطلقين الذين يتوقون لرؤية سارة بالين كرئيس مقبل للولايات المتحدة (لاحظ أن بالين نفسها ربما يقع في عدد من هذه الفئات). هؤلاء الناس مخطئون حول كل شيء تقريبا تحت الشمس. ولكن المشكلة هي أنهم غير مخطئين تماما حول الإسلام.

في كلمته لدعم المسجد، قال عمدة نيويورك مايكل بلومبرغ: "سنكون قد خننا قيمنا، وأعننا علينا أعدائنا، لو كنا نعامل المسلمين باختلاف عن الآخرين." هذا البيان يمتلك فضيلة أنه صادق في معظمه. ولكنه صحيح أيضا أن المسلمين النزيهين والمحبين للحرية عليهم أن يكونوا أول من ينظر لإخوانهم المسلمين بشكل مختلف نوعا ما. في هذه المرحلة من التاريخ البشري، الإسلام ببساطة مختلف عن الأديان الأخرى. التحدي الذي نواجهه جميعا، مسلمين وغير مسلمين على حد سواء، هو العثور على أكثر الطرق نفعا وعملية لتخفيف حدة هذه الخلافات، ولتغيير هذا الدين نحو الأفضل.

مما يثير المفارقة والانتباه معاً، أنه في ذات اللحظة التي تم عندها أخيراً تمهيد الطريق لبناء مسجد في المنطقة صفر، كان مسجد هامبورغ الذي قام بتغذية خاطفي ١١/٩ قد أغلق من قبل الحكومة الألمانية. لا شك أن هناك مسلمين ألمان قد شعروا أن حريتهم الدينية قد تم تقليصها بصورة مخجلة. مع ذلك، بعد عشر سنين من معاملة هذا المسجد كنصب تذكاري للتسامح، اضطر الألمان أن يعترفوا أنه كان في الواقع حاضنة فاسدة للفكر الجهادي والقيم المعادية للغرب. وهكذا، لا بد من طرح السؤال: أي من هذين المسجدين يمثل الوجه الحقيقي للإسلام؟

في كلمته، قال العمدة بلومبيرغ: " إني آمل أن المسجد سيساعد في جعل مدينتنا أكثر تقاربا، ونبذ الفكرة الخاطئة والبغيضة أن هجمات ١١/٩ كانتت بأي شكل متفقة مع الإسلام." وقال حينها أن أي شخص يعارض هذا المشروع يجب "أن يخجل من نفسه". وهو، بالمناسبة، نفسه العمدة بلومبيرغ الذي لم يتمكن أن يجعل نفسه يدين علنا ممارسة "الشفط الفموي" التي يستخدمها الخاتنون اليهود الأرثوذكس خلال طقوس الختان، رغم من حقيقة أنها تنشر الهربيس في الأولاد الرضع، مما يتسبب في تلف الدماغ أحيانا وحتى في الموت. هذه الأمثلة على فشل الجرأة العلمانية يمكن

إعطاءها وصفا عاما: التسامح مع الغباء الديني هو وسيلة لصنع كذابين وجبناء من أناس ينبغي أن لا يخشوا أبدا من ثمار التفكير النزيه.

والتفكير النزيه يعلن أن هناك الكثير مما هو مرفوض ـ وبصراحة، مرعب ـ حول دين الإسلام، وحول حالة الخطاب لدى المسلمين الذين يعيشون في الغرب، وأنه غير مناسب قطعا أن تعتبر مناقشة هذه الوقائع علنا دليلا على "التعصب" من قبل الليبراليين حسني النية، وذلك جزئيا لأن انتقادات كهذه تتناغم مع التعصب الفعلي للمحافظين غير حسني النية. لا أستطيع أن أرى أي علاج لهذا، على أي حال، عدا التأكيد المباشر على النقاط الحاسمة، مرارا وتكرارا.

أول أمر هو أن جميع الدارسين الصادقين للإسلام يجب أن يعترفوا أنه ليس من الواضح على الاطلاق إن كان أعضاء تنظيم القاعدة، حركة طالبان، حركة الشباب، جماعة عسكر طيبة، حماس، وغيرها من الجماعات الاسلامية الارهابية قد أساءوا فهم واجباتهم الدينية. إذا كانوا "متطرفين" قد قاموا بتشويه إيمان قديم إلى نحلة موت، فإنهم لم يشوهوه كثيرا. عندما يقرأ المرء القرآن والأحاديث، ويستشير آراء الفقهاء المسلمين على مر القرون، سيكتشف أن قتل المرتدين، ومعاملة النساء كالماشية، وشنّ الجهاد ـ ليس مجرد صراع روحي داخلي، ولكن كحرب مقدسة ضد الكفار ـ هي ممارسات تعتبر أساسية في الدين. إذا علم هذا، فالمسار الوحيد للخروج من هذا الجنون هو أن يتظاهر مسلمي السواد الأعظم ببساطة أن الأمر ليس كذلك ـ وبهذا التظاهر يقنعون الجيل القادم أن الاسلام "الحقيقي" مسالم، متسامح مع الاختلاف، مساواتي، ومتوافق تماما مع مجتمع مدني عالمي. لكن الكتب المقدسة تبقى إلى الأبد في محل الاستشارة، ولن يجرؤ أحد على تعديلها. وبالتالي، فإن معظم الآيات العنيفة والمثيرة للانقسام في هذه النصوص ستظل مفتوحة إلى الأبد لإعطاء تفسيراتها الأكثر قبولا.

وهكذا، عندما يأمر الله أتباعه بقتل الكفار أينما يجدونهم، حتى يسود الإسلام عاليا (البقرة:١٩١-١٩٣؛ النساء:٧٦؛ الأنفال:٣٩؛ التوبة:١٢٣؛ محمد:٤؛ التحريم:٩) ـ فقط للتأكيد على أن هذه الفتوح العنيفة واجبة، مهما كانت غير سارة (البقرة:٢١٦)، وأن الموت في الجهاد هو في الواقع أفضل ما يمكن أن يحدث لشخص، نظرا للمكافآت التي يتلقاها الشهداء في الجنة (آل عمران:١٤٠-١٧١؛ النساء:٧٤؛ محمد:٥-٦) ـ إنه يعني ذلك تماما. وبما أنه خالق الكون، من المفترض أن توجه كلماته المسلمين في جميع الأوقات. نعم، صحيح أن العهد القديم يحتوي على همجية أكبر ـ ولكن هناك أسباب تاريخية ولاهوتية واضحة لكونها تلهم عنفا يهوديا ومسيحيا أقل بكثير اليوم. أي شخص يحاول حذف هذه الفروق، أو يعترف بمشكلة الجهاد والإرهاب الإسلامي فقط، وعلى وجه السرعة يذكر الحروب الصليبية، معاملة اسرائيل للفلسطينيين، نمور التاميل، وتفجير المبنى الفيدرالي في أوكلاهوما، هو ببساطة لا يفكر بصدق حول مشكلة الإسلام.

ما لا يسمعه أحد عموما من المسلمين الغربيين هو أي اعتراف صريح بهذه الحقائق غير السارة. وردا على المخاوف التي أثيرت حول جدية العقائد الإسلامية المتعلقة بالجهاد، الشهادة، الردة، والتجديف، إلى جانب ارتباطها غير المجادَل بالإرهاب، التهديد بالعنف، "خلافات" الكارتوون، وأمثال ذلك – سيلاقي المرء مشاكسة، ارتباكا مختلقا، أنصاف حقائق، ونتائج غير مترتبة. سعى الاعتذاريون الإسلاميون للدفاع عن عقيدتهم من الانتقادات حتى باختراع اضطراب نفسي يُعرف باسم "الإسلاموفوبيا." يقال أن صديقتي أيان حرسي علي تعاني من ذلك. رغم أنها خُتِنت كفتاة على أيدي البرابرة الدينيين (كما لا تزال ٩٨ في المئة من الفتيات في الصومال)، وكانت في هرب مستمر من رجال الدين منذ ذلك الحين، وعليها الإبقاء على حارس شخصي في كل مكان تذهب إليه، حتى انتقادها للإسلام ينظر إليه كشكل من أشكال "التعصب" و "العنصرية" من قبل العديد من المسلمين "المعتدلين". وحتى الآن، يجب أن يكون المسلمين المعتدلين أول من يلاحظ كم هي فاحشة بلطجة المسلمين، ويجب أن يكونوا أول من يدافع عن حق مثقفي العموم، رسامي الكاريكاتير، والروائيين في انتقاد الدين.

لا يوجد شيء كالإسلاموفوبيا. التعصب الأعمى والعنصرية موجودان، بطبيعة الحال – وهم شرور على كل أصحاب النوايا الحسنة معارضته. والتحيز ضد المسلمين أو العرب، فقط بسبب صدفة ولادتهم، هو أمر خسيس. ولكن ككل الديانات، الإسلام هو نظام من الأفكار والممارسات. وليس شكلا من أشكال التعصب أو العنصرية أن نلاحظ أن المبادئ المحددة للإيمان تشكل تهديدا خاصا للمجتمع المدني. كما أنها ليست علامة على التعصب أن تلاحظ عندما يكون الناس ببساطة غير صادقين حول ماذا يؤمنون، هم وإخوانهم في الدين.

الادعاء بأن أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، كان "لم تكن له علاقة بالإسلام" هو كذبة مدقعة ومزلزلة. هذه الجريمة، قتل ٣٠٠٠ أبرياء، اعتبرت انتصارا للدين الحنيف الواحد عند ملايين المسلمين في جميع أنحاء العالم (حتى، بغباء، أولئك الذين يعتقدون أنها ارتكبت من قبل الموساد). وايضا فإن تشييد مسجد على أنقاض هذا العمل الوحشي سوف ينظر إليه من قبل عدة ملايين من المسلمين على أنه انتصار، وكدليل على أن القيم الليبرالية في الغرب مرادفة للانحطاط والجبن. هذا قد لا يكون سببا كافيا لأنصار هذا المسجد كي يعيدوا النظر في مشروعهم. وربما لا ينبغي أن. ربما هناك شكل الإسلام يمكن أن يصدر من هذا الموقع بحيث سيكون أفضل ، باعتبار كل الأمور، من مجرد عدم بناء مسجد آخر في المقام الأول. ولكن هذا يقودني الى نتيجة متناقضة إلى حد ما: المسلمين الأميركيين يجب أن يكونوا أحرارا تماما في بناء مسجد على بعد وحدتين من المنطقة صفر، ولكن من ينبغي أن يفعلوا ذلك ربما لن يرغبوا فيه.